

روايات مصرية |



نكتيل
٢٠٠٧

ثقافة الغد ... لشباب اليوم

أم على

وقصص أخرى

آخر
الخط

سفر

سنة
واحدة

اختلاف

حرب
قطرة

اللحن المفقود

قلبي
وقلبي

دموع الإنترنت

ورحلت

ونكتيل فاروق

القرار

الموت حيا

بشرة بيضاء

ليس كل مرة

- مع بدء العد التنازلي ، نحو القرن الحادي
والعشرين ..
- مع التطور السريع للعلوم والفنون والآداب ..
- مع ضرورة أن تصبح المعرفة حمية كالماء والهواء ..
- مع كل هذا جاءت كوكتيل ٢٠٠٠ ، بمثابة باب
إلى المعرفة ..
- إلى الحضارة ..
- إنها ثقافة الغد .. لشباب اليوم

د. نبيل فاروق



(قصة قصيرة)

أم علي

« الدكتور (محسن) عاد من مؤتمر (لندن) .. »
ألقت زميلتي (نها) العبارة في همس منفعّل ، وهي تلهث
في شدة ، على نحو جعلنا جميعاً ننظر إليها في دهشة ، قبل
أن أقول أنا ، في حيرة مستنكرة :
- عاد إلى هنا ؟!
أومأت (نها) برأسها إيجاباً ، في حماسة منفعلة ، وهي
تقول :

أم على

- نعم .. من المطار إلى هنا مباشرة ؛ ليتابع حالاته التي
كان يتابع علاجها قبل سفره .

ثم غمزت بعينها في خبث ، قبل أن تستطرد :

- إنه غير متزوج كما تعلمن .

وجدت نفسي أهتف في حدة :

- ومن تفكر في الزواج من جلف مثله ؟

ضحكت زميلتنا (سلوى) وهي تقول :

- الواقع أنه وسيم جداً يا (مروة) .

قلت في حدة أكثر :

- حتى ولو كان أكثر رجال الأرض وسامة ! إنه مجرد

تمثال من الرخام ، بلا قلب أو مشاعر .

هزت (نها) رأسها نفياً ، وقالت :

- لست أظن هذا .. ربما كان صارماً عنيذاً ، ولكن

لو أنه بلا مشاعر كما تقولين يا (مروة) لما عاد من المطار

إلى هنا مباشرة ، ليعود مرضاه .. شخص غيره كان سيعود

إلى بيته ، وينعم بيوم كامل من النوم والراحة أولاً .

هتفت بعناد :

- ولو .

ضحكت (نها) و(سلوى) ، ولم تحاول إحداهما معارضة ،
لما تعلمته من صلابتي وعنادي ، منذ كنا زميلات في مرحلة
الحضنة ..

والواقع أن رأيي في الدكتور (محسن) هذا لم يتغير أبداً ،
منذ بدأت العمل كطبيبة امتياز ، في ذلك المستشفى العام ،
إثر تخرجي مع زميلتي عمري ، من كلية الطب ..

فمنذ أول يوم عرفته ، وهو شخص صارم ، عنيف ،
لا يهتم في الدنيا كلها سوى بمرضاه ، الذين يعاودهم ليلاً
ونهاراً ، ويقضي ساعات طوالاً إلى جوارهم ، دون أن يسمح
لطبيب امتياز واحد بالاشتراك منهم ، أو للتدخل في علاجهم ..

العبرة الوحيدة ، التي يرددها دوماً ، هي أن أطباء الامتياز
مجرد ظلال بيضاء غير نافعة ..

قول سخيف ، يشف عن غرور غبي ..

هذا ما أقوله عنه دوماً ..

أما الشيء الذي كنت أصرّ عليه باستمرار ، فهو أنه رجل

أم على

بلا قلب أو مشاعر ، وأن صرامته الدائمة ليست إلا محاولة
سخيفة لإخفاء أمر ما ، يخجل أن يعرفه الآخرون عنه ..
بالتأكيد ..

ولقد عدت أخبر صديقتي برأى هذا ، ونحن في طريقنا
إلى استقبال الطوارئ ، الذى سنقضى فيه نوبة الليل معاً ،
كما اعتدنا طوال فترة الامتياز ..

وفي حجرة استقبال الطوارئ ، رحت أشرح لهما خطة
وضعتهما ، لإحراج الدكتور (محسن) ، وكسر غروره
وتعالیه ، وإجباره على الاعتراف بوجودنا نحن أطباء
وطببيات الامتياز ، و ...

« هل تسمحن ؟! »

قاطعتنا تلك العبارة القصيرة ، التى نطقها رجل قصير
القامة ، خشن الملامح ، فى لهجة خافتة مهدبة ، تتناقض
بشدة ، مع بنيانه المتين ، ولحيته غير الحليقة ، فاعتدلنا
فى آن واحد ، وسألته أنا :

- ماذا هناك ؟!

أشار بيده ، فى شيء من الارتباك ، وقال :

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

- والدتي مريضة .. معدتها تؤلمها منذ الغروب .. هل
يمكنك أن .. أعني هل تسمحين بـ ...
قاطعه قبل أن يكمل ، وأنا أنهض من مقعدي ، واتجه
إليه بحماسة :

- بالتأكيد .. أين هي ؟!

تبعني (نها) و(سلوى) كالمعتاد ، واتجه ثلاثتنا إلى
حجرة الكشف ، ولم يكذبصرنا يقع على أمه ، التي تقف
إلى جوار سرير الكشف الطبي صامتة ، تمسك معدتها في
ألم ، حتى هتفنا في آن واحد :

- أم (على) ؟!

ارتبك الرجل بشدة ، في حين امتقع وجه الخالة أم (على)
العجوز ، وهي تحدق في وجوه ثلاثتنا ، مغفمة في خجل
وارتباك :

- كيف حالكن يا بنات .

عبارتها القديمة ، التي طالما سمعناها في طفولتنا ، أثارت
في نفوسنا حنيناً شديداً ، وأعادت إلى أذهاننا ذكريات أجمل
أيام حياتنا ، عندما كنا صغيرات ، نسكن إلى جوار بعضنا ،

أم على

فى منطقة (المعادى) ، وكانت الخالة أم (على) قاسماً
مشاركاً فى حياتنا ، عندما كانت تحضر لأسرنا البيض
الطارج ، والدجاج والبط وغيرها من الطيور ، وتؤدى للكل
أية خدمات معقولة ، مقابل أجر بسيط ..

كانت دوماً باسمه الثغر ، حنوناً ، دافئة المشاعر ، ما إن
نلمحها ، نحن وأطفال الحى كله ، حتى نهرع إليها بفرحة
عارمة ، ونحن نهتف باسمها ، وكانت هى تستقبلنا دوماً
بابتسامة كبيرة ، ودفاء يكفى لإذابة ثلوج القطبين معاً ..
وكم أحببناها وتعلقنا بها فى طفولتنا ، وأصبحنا ننتظرها
بكل اللفة والحب ..

ثم اختفت أم (على) فجأة ..

دون مقدمات ، لم تعد أم (على) تأتى إلى حينا ، أو إلى
أية أحياء أخرى .. ولقد انتظرناها طويلاً ، ثم لم نلبث أن
بدأنا نبحث عنها ، ونسأل عن أحوالها ، فعلمنا من بعضهم
أن ابنها (على) قد طلب منها أن تكف عن العمل ، وخرج
هو ليعول أسرته كلها وأشقاءه الأصغر سناً ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

وكم افتقدنا أم (على) فى شبابنا وصبتنا ..

حتى رأيناها الآن ..

وبكل شوقنا ولهفتنا ، أهبلنا عليها نغمها بحينا وقبلاتنا ،
فاحمر وجهها خجلاً ، وامتزج ألمها بتلك الابداسمة الحاتية
الدافئة ، التى افتقدناها طويلاً ..

وبكل حينا ، رحنا نفحص أم (على) ، ونتعاون على
إراحتها وتهدئتها ، وتخفيف آلامها ، وإينها يقف صامتاً ،
يتطلع إلينا فى تأثر واضح ..

ولكن أم (على) كانت تحتاج إلى ما هو أكثر من عمار
لتخفيف الألم ..

وبكل الاهتمام ، قلت لها :

- خالى أم (على) .. سنحتجرك هنا ليومين ، حتى نجرى
لك كل الفحوص اللازمة .

ظهر على وجهها ذعر لم أفهمه ، فى حين اندفع ابنها
يقول فى ارتباك :

- لا .. ليس هنا .

قالت (نها) فى دهشة :

أم على

- ولم لا .. ما ستجده هنا لن تجده في أي مستشفى
آخر .. ثم إن الخالة أم (على) مثل والدتنا ، وسنوليها كل
رعايتنا واهتمامنا ..

تبادلت أم (على) نظرة قلقة متوترة مع ابنها ، الذي
أوما برأسه ، وكأنما يعلن في صمت فهمه لما تعنيه ،
وتتحنج في حرج ، قائلاً في شيء من الحزم :

- ليس هنا .

خيل إلى أنني قد فهمت مغزى كل هذا ، فقلت في حزم :
- لن يكلفكما هذا قرشناً واحداً .

قال الرجل في حرج :

- ليست مسألة نقود .

تابعت وكأنني لم أسمعه :

- سننخذ كل الإجراءات اللازمة ، وسندخل الخالة أم (على)
القسم المجاني ، و ...

قبل أن أتم عبارتي ، ارتفع صوت جهوري صارم ، يقول :

- هراء .

التفتنا جميعاً بحركة واحدة ، إلى مصدر الصوت ، ووقع
بصرنا على الدكتور (محسن) ، الذى بدا عملاقاً قوياً صارماً
فى تلك اللحظة ، حتى إن (نها) و(سلوى) قد امتنعنا
على نحو عجيب ، فى حين ارتبك الرجل القصير ، واحتقن
وجه أم (على) المسكينة ، وتراجعت فى شيء من الذعر ،
جعلنى أشفق عليها ، وأهم بالاعتراض على قوله فى عuf ،
لولا أن فوجئت به يكمل ، فى حنان عجيب ، أدهش الكل
بالتأكيد :

- هذه السيدة ستعالج فى جناح خاص ، وبالدرجة الممتازة
أيضاً .

احتقن وجه أم (على) أكثر ، وارتبك ابنها بشدة ،
ولكن الدكتور (محسن) اتجه نحوهما ، ثم أقدم على آخر
شيء يمكننا تصوّره ..

لقد انحنى يلتقط يدها ، ثم يطبع عليها قبلة طويلة ،
جعلت وجهها يتضرج كله بحمرة عجيبة ، قبل أن ينهض
هو ، ثم يحيط جسدها الضئيل بذراعه القوية ، ويضمها
إليه فى حنان جارف ، قبل أن يقول بصوت ، لم أسمع
أكثر أو أشد منه حباً وفخراً واعتزازاً :

أم على

- إنها أمي .

اتسعت عيون ثلاثتنا في ذهول ، ونحن نحدّق فيه ، في حين دفنت أم (على) رأسها في صدره ، وسالت دموعها على وجهها الطيب الحنون ، فضمّتها إليه أكثر ، وربّت عليها بحنان أذهلني ، وأطلق في جسدي كله ارتجافة عجيبة ، شملته حتى النخاع ..

ويكل ذهولها ، هتفت (نها) :

- الخالة أم (على) هي أمك ؟

اتسعت ابتسامته في زهو وفخر ، وهو مازال يضمّ أمه إليه بكل حنان الدنيا ، ومدّ يده يربّت على كتف القصير ، وهو يجيب :

- لي كل الفخر .. أما هذا ، فهو (على) ، شقيقى الأكبر ، وأفضل أسطى ميكاتيكي فى (المعادى) كلها .

ثم التفت إلى شقيقه ، وداعب لحيته نصف النابتة ، وهو يضيف بحب :

- كفاحه وتضحيته هما اللذان صنعا منى ما أنا عليه

الآن .

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

قالها ، وطبع قبلة امتنان على جبين شقيقه (على) ، قبل
أن يعتدل ، مستعِداً كل صرامته المألوفة ، ومستطرذاً :

- هيا .. لاتضيعي الوقت .. أريد أفضل جناح في المستشفى
كله .. على النيل مباشرة ، وعلى نفقتي الخاصة .. وليبدأ
الاستعداد لعمل الفحوص فوراً .

وبكل حماس الدنيا ، هتفت :

- بالتأكيد .

نحظتها ، ألقيت كل خططي السابقة خلف ظهري ..
ووضعت خطة جديدة ..

ولقد نجحت خطتي الجديدة نجاحاً باهراً ، ولايمكنكم أن
تتصوروا مدى سعادتي وفخري بنجاحها ، وأنا أسير الآن
في (المعادي) متأبطة ذراع زوجي العظيم ، الدكتور
(محسن) ، وفي يدي الأخرى ثمرة حبنا ..

(على) ..

حفيد أم (على) ..



اختلاف [قصة قصيرة]

ماذا أصاب الكل ؟!

ما الذي غير أسلوبهم تجاهه على هذا النحو ؟!

بل ماذا حدث للمنزل كله ؟!

لماذا يتجاهله الجميع على هذا النحو ؟!

إنه كبير العائلة وعميدها ، وولي نعمتها أيضًا ، والمفترض أن يحيطه الكل بالاحترام والتوقير والتقدير ..

ولقد كان هذا ما يفعلونه ، قبل مرضه الأخير ..

كان الكل يراعاه ، ويتملقه ، ويبذل الكثير والكثير لاكتساب وده ..

ثم فجأة ، لم يعد هناك من يبالي بوجوده ..

روايات مصرية للجيب (كوكبتيل) (٢٠٠٠)

حتى ابنته الكبرى ، التي اعتبرها دوماً أكثر أبنائه عطفاً
وحناناً ، تجاهلته تماماً ، عندما ابتسم في وجهها هذا الصباح ..
كانت منهمكة في إعداد أشياء كثيرة ، فلم تبال به إطلاقاً ..
وعندما صرخ في وجهها ، وصاح مطالباً إياها بالاحترام
الواجب ، من الابنة تجاه والدها ، أشاحت بوجهها
عنه ، وواصلت عملها بنفس الانهماك ، وكأنها لم يعد يعنيتها
أمره قط ..

يا لسخافة الدنيا !

الكل يلتف حولك ، عندما تشرق لك الشمس ، ثم ينفذون
بسرعة البرق ، مع أول قطرة مطر تنهمر عليك .
كان ينبغي أن يدرك هذا منذ البداية ..
وأن يعيه جيداً ..

وخاصةً مع حياته الحافلة ، التي قضاهما في العمل والكفاح
والجهد ، حتى صار واحداً من أشهر التجار ، وأكثرهم ثراءً
ومهابة ..

وطوال حياته الحافلة ، لم يجرؤ مخلوق واحد في عائلته
كلها ، على رفع عينيه في وجهه ..

كان هو الأمر الناهي ، وصاحب الكلمة النافذة ، في كل
الظروف والأحوال ..

اختلاف

ولم لا ، مادام يطعمهم ويكسوهم جميعاً من ماله ..

وما دام هو الأقوى ..

والأكثر ثراءً ..

ثم إنه يختلف عن الكل ..

طيلة عمره يدرك أنه يختلف عنهم جميعاً ..

إنه أكثر براعة ، وذكاءً ، وحنكة ..

بالتأكيد هو يختلف ..

الآن بالذات يشعر بأنه يختلف عن كل من حوله ..

يختلف تماماً ..

وهؤلاء الأغبياء لا يدركون هذا ..

وهذا أفضل ..

إنها فرصة ، ليعرف حقيقة مشاعرهم نحوه ..

إنهم ما زالوا يحتفظون بصورته الكبيرة في نفس موضعها ،

في صدارة حجرة الصالون الكبرى ، ولكنهم يتجاهلونه هو على

نحو مستفز ..

روايات مصرية للجيب (كوكتيل) (٢٠٠٠)

كل منهم منشغل تمامًا في عمله ، وفي الإعداد لذلك الاجتماع ،
الذي يولونه كل اهتمامهم وعنايتهم ..

يا للمنافقين !

لو أنه لم يعاني من هذا المرض الأخير ، لما فعلوا به هذا ..
لو أنه ظل قويًا كما كان دائمًا ، لوضعوا ألف حساب
لمشاعره ...

أما الآن ، فالكل يتصرف وكأنما لا وجود له ..

وكانما انتهى كل شيء بمرضه ..

ولكنه يحمل لهم مفاجأة كبرى ، لا يمكنهم تصوُّرها
قط ..

إنه لم يعد يعاني المرض ..

لم يعد يشعر بالضعف والعجز والأكم ..

لم يعد مقعدًا كذي قبل ..

ولكنهم يجهلون هذا تمامًا ..

وهذا أفضل ما في الأمر ..

الغلاف

دعهم يتصرفون ويتعاملون بتلقائيتهم المستفزة هذه ، حتى
تحين لحظة المواجهة الكبرى ..

اللحظة التي سيدركون فيها الحقيقة ..
كل الحقيقة ..

وفي هدوء وصمت ، جلس في الركن ، يراقبهم بعيني ذئب ،
وابتسامة ثعلب ماطر ، يتابع فريسته في اهتمام ، انتظارا للحظة
الانقضاء والفتك ..

ومن ناحيتهم ، لم يوليه أيهم أدنى اهتمام ..

لقد واصلوا عملهم ، وتجهيزاتهم لحجرة المكتب الكبيرة ،
على نحو يوحى بأنهم في انتظار ضيف مهم للغاية ..

ومن بقعة ما في أعماقه ، بدا له أنه يعرف طبيعة ذلك
الضيف ..

ومهنته ..

لم يدرك كيف أدرك هذا ..

ولكنه أدركه ..

بل وعلم أيضا أنه سيأتي في تمام الساعة ..

وكم كانت دهشته ، عندما صدقت تنبؤاته تماما ..

روايات مصرية للجيب (موكتيل) (٢٠٠٠)

تُرى ما الذى يعنيه هذا ؟!

ما الذى جعله قادراً على التنبؤ والاستنتاج ، على هذا النحو ؟!

لقد قرأ الكثير فى هذه الأمور ، وعن البصيرة التى تتفتح للمرضى ، و ..

ولكن هذا لا يهم الآن ..

المهم أن الضيف الذى يتوقعه قد وصل ..

وفى مواعده تماماً ..

إته محاميه ..

يا للخائن !

هو أيضاً تجاهله تماماً ، ولم يلق عليه حتى التحية ، وهو يدخل إلى حجرة المكتب ، ثم - ويا للوقاحة - يجلس على مقعده هو !!

يا له من صفيق !!

فى الماضى كان يقف طوال الوقت ، ولا يجرق على الجلوس لحظة واحدة فى وجوده ..

اختلاف

وهذا أمر طبيعي ، مادام يحصل منه على ثروة في كل عام .

ثروة يحلم بها أي محام ، في (مصر) كلها ..

ولكن لماذا يدهشه هذا ؟!

إنها طبيعة الدنيا ..

وطبيعة البشر ..

أقاربه كلهم اجتمعوا في حجرة المكتب ، يتطلعون إلى
المحامي في لهفة كبيرة ..

يا للأوغاد !!

لا ريب في أنهم يسعون لتجريده من ثروته ..

أو للحجر عليه ، باعتبار أن مرضه قد أثر في قواه العقلية ..

ولكنه لن يسمح لهم بهذا ..

سيواجههم في اللحظة المناسبة ، ويصرخ في وجوههم معلناً
الحقيقة ..

حقيقة أنه لم يعد مريضاً ..

لقد استعاد صحته ..

وحيويته ..

روايات مصرية للجيب (كوكتيل) (٢٠٠٠)

ونشاطه كله ..

بل إنه يشعر بنشاط أكثر من كل ما شعر به ، في حياته كلها ..
وسيطلق هذا النشاط في وجوههم ، التي تحمل كل لهفة الدنيا ،
وهم يستمعون إلى محاميه الخائن ، وهو يقرأ عليهم وصيته ، و ...
ولكن مهلاً !!

يقرأ وصيته ؟!

ولكن هذا يعنى أنه .. أنه ..
رباه ! الآن فقط أدرك لماذا يشعر بأنه مختلف ..
ولماذا يشعر بكل هذا النشاط ..
الآن فقط أدرك لماذا يتجاهله الجميع ..
هذا لأنه لم يعد - في الواقع - يحيا معهم ..
أو مع أى مخلوق ، فى الدنيا كلها ..
لقد غادر الحياة كلها ، وأصبح مجرد ..
شبح ..

عندئذ فقط ، ومع إدراكه لحقيقته ، لم يعد يبالي بكل ما يحدث
حوله ..

بأقاربه ، ومحاميه .. وحتى ثروته ..

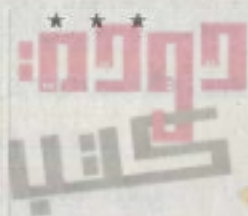
افتتاح

وفى استسلام حزين ، راح ينسحب من حجرة المكتب ،
والمنزل ..

والدنيا كلها ..

إلى عالم يختلف ..

تمامًا .



آخر الخط ..

(قصة قصيرة)

أخيراً ، جاء ذلك اليوم ، الذى تصوّر أنه لن يأتى أبداً ..

اليوم الذى تنتهى فيه رحلته الطويلة ..

الرحلة ، التى بدأها منذ أربعين عاماً كاملة ..

رحلة الكفاح ..

والصراع ..

والشقاء ..

والتعب ..

يا إلهى ! إنه يتذكّر البداية ، كما لو أنها قد حدثت أمس ..

كان شاباً ، وسيماً ، طموحاً ، طيب القلب ، حلو المعشر ..

وفقيراً .. للغاية !

لقد نشأ فى أسرة فقيرة ، كثيرة الأبناء ، قليلة الدخل ، يعانى

أفرادها شظف العيش ، ويجدون بالكاد ما يكفى لقوتهم اليومي ..

وعلى الرغم من هذا ، فقد جاهد والده الفقير ، ليمنحهم جميعاً

نعمة التعليم ..

كان حلم حياته أن يرى أولاده أفضل منه ، ينعمون بشهادات

عالية ، ووظائف مرموقة ، ودخول تسمح لهم بالعيش ، فى

مستوى آمن مطمئن ..

آخر الخط .. (قصة قصيرة)

ولأنه كان أول الأبناء ، وأكثرهم نكاءً وطموحاً ، فقد اعتبره والده الأمل الأول له ، ولم يدخر جهده ، أو أمواله القليلة ، ليدفعه دفعا ، في طريق العلم والتعليم ..

ولقد بذل هو قصارى جهده بحق ، حتى لا تضيق تضحية والده ، أو تذهب جهوده هباء ..

وبتفوق ملحوظ ، تجاوز المرحلة الابتدائية ..

ثم حصل على الشهادة الإعدادية بمجموع مبهر ..

وفي نهاية المرحلة الثانوية ، نشرت صورته في الصحف ، باعتباره واحداً من أوائل الطلاب ، على مستوى الجمهورية كلها ..

وكتطور طبيعى ، كان ينبغي أن يلتحق بكلية عمالية ، من الكليات المتاحة للمتفوقين من أمثاله ..

وهنا ، حانت لحظة مواجهة الحقيقة ..

صحيح أنه متفوق ، وأنه الوحيد من بين أشقائه ، الذى أمكنه الالتحاق بالمرحلة الثانوية العامة ، وإنه يستحق بتفوقه ، دخول أكبر كليات القمة ..

ولكن العين بصيرة واليد قصيرة ، كما يقولون ..

ومهما بذل والده العامل البسيط من جهد ، فلن يمكنه أبداً تحمّل نفقات الدراسة ، في كليات القمة ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكبيل ٢٠٠٠)

حتى مكافأة التفوق ، لم تكن لتكفى أبداً ؛ لأن المسؤولين لم يدركوا بعد أن الزمن يتطور ، والاقتصاد يتغير ، والمكافأة التي كانت تكفى فيما مضى ، لم تعد تساوى ثمن بضع وريقات ، من أصغر مذكرة في الكلية اليوم ..

وهكذا ، وعلى الرغم من طموحه ، كان لابد له أن يرضى بكلية نظرية ، ذات نفقات محدودة ..

نفقات يمكن لوالده المكافح احتمالها ..

وفي استسلام لقدره ، التحق بكلية أدبية ..

وحاول أن يطوِّع طموحه للتعامل معها ، فراح يستذكر مقرراته في اهتمام وحزم ، ويسعى للتفوق والتقدم في الكلية ..

وعبر سنوات الدراسة الأربع ، كان طموحه يربح المعركة دوماً ..

لقد تفوق ..

وتفوق ..

وتفوق ..

وفي السنة النهائية ، حصل على شهادته بتقدير ممتاز ، يندر أن يحصل عليه أى طالب ، في كلية معانلة ..

وكانت فرحة والده طاغية ..

آخر الخط .. (قصة قصيرة)

الحى كله ، ظل يرقص حتى صباح اليوم التالي ، احتفالاً بنجاح
ابنه وتفوقه ، وحصوله على تقدير مرتفع ، يمنحه حق التعيين
كمعيد فى الجامعة ..

ومع الوقت ، والترقى لم يلبث أن يصبح أستاذًا جامعيًا ، يشار
إليه بالبنان ، ويزهو به والده وأشقاه ..

ونكن الحلم كان أجمل كثيرًا من عالم الواقع ..

ففى دهاليز الكلية ، كانت هناك أمور تدور ، لا علم له بها ..
ولا قبل له بمواجهتها ..

فلسبب ما ، أمكن تطويع النوائح للتوافق معه ، لم توافق الكلية
على تعيينه معيدًا بها ..

ربما لأنه من أصول اجتماعية متواضعة ..

أو لأن ابن أحد الأساتذة بالكلية ، كان يطمح إلى الوظيفة
نفسها ..

أو للسببين معًا ..

المهم أنه لم يصبح معيدًا بالكلية ..

لم يفز بالمنصب والوظيفة ..

ولا بأية وظيفة أخرى ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠) كوكتيل

كل ما حدث ، هو أنه أصبح اسمًا إضافيًا ، في قائمة البطالة ،
والعاطلين عن العمل ..

انتهى من دراسته بتفوق ، وفعل كل المطلوب منه ، والآن لا يجد
وظيفة واحدة ، تغنيه عن السؤال ، وتقويه أسرته من الجوع ..

وكان يمكنه أن يحتمل كل هذا ، لولا نظرة الحزن والأسى
والإحباط ، التي تطلّ دومًا من عيني والده ..

النظرة ، التي جعلته يسعى للحصول على أى مصدر للدخل ..

مهما كل شأنه ..

وخلال عام كامل ، تنقل بين عدة وظائف ، لا تحتاج أفضلها
إلا لإجادة القراءة والكتابة ، على أكثر تقدير ..

وحصل على دخل للعيش ..

وربما لإعالة الأسرة أيضًا ..

ولكن هذا لم يمحَ نظرة الإحباط والأسى ، من عيني والده أبدًا ..

ولم يدر هو ماذا يفعل ؟!

أو أين يذهب ؟!

ثم جاء ذلك اليوم ، الذى طلب فيه والده منه أن يعلم أوراقه ،
ثم اصططحبه معه إلى المصلحة ، التى يعمل فيها ، وقدمه إلى
رئيسه ، الذى وقّع بالموافقة على طلب وظيفة معد مسبقًا ..

آخر الخط .. (قصة قصيرة)

وأصبح هو أخيراً موظفاً رسمياً ، له راتب ثابت ، يكفى بالكاد
للعيش الحاف ، وقليل من الملح ..

وكان عليه أن يواصل عمله الخارجى ، فى النصف الثانى من
اليوم ..

ويواصل ..

ويواصل ..

وبعد ستة أشهر فحسب ، من توليه الوظيفة الرسمية ، رحل
والده عن الحياة فى هدوء ، وكأنما أسلمه الـراية ، وانتهى دوره
فى الحياة ..

وبدا هو مرحلة جديدة ..

ورحلة طويلة ..

رحلة استغرقت عمره كله ..

والتهمت شبابه ..

وطموحه ..

وأحلامه ..

لأربعين عاماً كاملة ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

وكعادته ، أدى واجبه على خير وجه ، ورعى أمرته ، وأمه ،
وأشقائه ، وسعى لاستكمال تعليمهم ..

ولتوظيفهم ..

وتزويجهم أيضًا ..

وخلال الرحلة ، نسي نفسه تمامًا ..

نسى أحلامه ، وطموحاته ، وحتى مشاعره ..

لم يرتبط أو يتزوج أبدًا ..

أو يشعر حتى بمرور الوقت ..

حتى وصل إلى آخر الرحلة ..

إلى آخر الخط ..

فاليوم فقط ، وصلته رسالة مسجلة مطبوعة ، تحمل اسم
المؤسسة ، التي يعمل بها ، مع كلمات قصيرة أدهشته جدًا ..

وأزعجته للغاية ..

كلمات تنبئه بأنه قد وصل إلى آخر الخط ، وبلغ السن القانونية ..

سن الخروج إلى المعاش ..

الآن فقط ، انتهى مشوار العمر الطويل ..

أو هكذا يتصور ..

آخر الخط .. (قصة قصيرة)

فقد وصل إلى السن القانونية للتقاعد ، إلا أنه لم يبلغ سن
نهاية الأحلام والطموحات بعد ..

فما زال لديه الكثير مما يمكن أن يعطيه ..
والكثير جدًا ..

أمه ما زالت على قيد الحياة ، وتحتاج إلى رعايته وعنايته ..
وأشقائه وشقيقاته يطلبن معاونته واستشاراته دومًا ..

وأبنائهم يذوبون عشقًا له ..
الرحلة لم تنته بعد إذن ..

والقطار لم يصل إلى آخر محطاته ..
وهذا يعني أنه سيكمل مشواره ، بنفس الحب والعطاء والتفاني ..
وسيواصل رحلته ..

حتى آخر الخط ..

آسف ..

(قصة قصيرة)

حبيبتي ..

هذا الخطاب الذي أرسله إليك الآن ، تأخر كثيرا ..

كثيرا جدا ..

تأخر أكثر مما ينبغي ..

وأكثر مما أمكنك الانتظار ..

أو الاحتمال ..

وأعترف أن هذا خطئي ..

وخطأك أيضا ..

فمنذ عرفتك ، عهدتك دائما الطرف الأكثر احتمالا ..

والأكثر حننا ..

وحبا ..

وعطاء ..

ولقد عشقت هذا فيك ، منذ اللحظة الأولى ، إلا أنني ، وعلى الرغم من هذا ، لم أحترمه كما ينبغي ..

ربما لأنني رجل ..

وشرقي ..

فالآن فقط ، أدرك أن طبيعتنا الشرقية تسمى تربية الذكور ..

وربما أكثر مما ينبغي ..

لقد اعتدنا منذ مولدنا ، أن نتعامل باعتبارنا الجنس الأرقى ،
والأفضل ، وصاحب كل الحقوق ، وأتكن الجنس الأدنى ، والأقل ،
والأضعف ..

اعتدنا هذا ، لأنه هكذا كانوا يربولنا ، ويتعاملون معنا ، منذ
تفتحت عيوننا على الحياة والدنيا ..

ومع مرور الوقت صدقنا الكذبة ..

واعتقناها ..

وتشبثنا بها ..

ولأننا تربينا على أن نزهو بذكورتنا ، وليس برجولتنا ، فقد
اكتفينا بها ، ولم نشعر بأية حاجة إلى العمل ، والجهد ، والكفاح ،
والسعى إلى التفوق في كل مجالات الحياة والدنيا ..

ولكننا تربيتن على العكس تماماً ..

الأنوثة كانت بالنسبة لكن هواناً ، وضعفاً ، ودنواً ..

لذا فقد جاهدتن لإثبات وجودكن ..

وقاتلتن ..

وكافحتن ..

أسف .. (قصة قصيرة)

ومع مرور الوقت ، تفوقتن ..

ليس في مجالات الدراسة والعلم فحسب ، كما توضح نتائج
الكليات والمدارس ..

ولكن في معترك الحياة أيضًا ..

فوفقًا للمعادلة الأساسية ، يتفوق المكافح ، ويضعف المترخي ..

أو كما قرأت قديمًا ، في رواية (ويلز) الشهيرة (آلة الزمن) ..

الجنس المقاتل يتفوق ويقوى مع الزمن ، ليفترس الجنس المنعم
في النهاية ..

فكرة بدت لنا خيالية يومًا ..

ثم أصبحت حقيقة ، في زمننا هذا ..

والمؤسف أننا لم ندركها ..

أو نفهمها ..

أو نستوعبها ..

فقط ، فوجئنا بها ..

تمامًا كما فوجئت أنا بما حدث ..

فبلا مقدمات ، وبعد سنوات من الحب والعشق ، فوجئت بك
تتراجعين ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

وتفضبين ..

وتنفرين ..

حبك كله انقلب إلى حنى ..

وسخط ..

ورفض ..

وبلا مقدمات أيضاً ، فوجئت بك تؤكدين أن شعورك نحوى ، لم
يعد أبداً كما كان ..

لم يعد حباً ..

أو عشقاً ..

أو حتى احتراماً ..

لقد احتملت طويلاً أخطأتى ..

سخافاتى ..

وأنانياتى ..

احتملتها طويلاً ..

وكثيراً ..

احتملتها بحب ..

وصبر ..

وأمل ..

أسف .. (قصة قصيرة)

ومن الواضح أنك قد فقدت فجأة ذلك الأخير ..
الأمل ..

فقدته ، وفقدت معه كل شيء ..
وأى شيء ..

وأعترف أن هذا قد صدمنى فى البداية ..
صدمنى ، وهزّ حتى أعماقى ..
هذا لأننى أحببتك بحق ..

وبعمق ..

وبالتاتية أيضاً ..

أحببتك كما لم أحب مخلوقاً من قبل ..
ولكن ليس كما ينبغي أن أحب ملاكاً مثلك ..
ليس كما ينبغي أن أمنحك ..

أو أعشقتك ..

أو أعطيتك ..

ولكننى ، وعندما جلست أراجع الموقف كله ، وعندما تتصلت من
غروى ، وثلاثتى ، وثقتى الزائدة بنفسى ، وأجبرت عينى على رؤية
حقيقتى ، أدركت أنك على حق تماماً ، فى موقفك الجديد هذا ..

روايات مصرية للجبب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

وأنتى مخطئ فى حقك ..

وإلى أقصى حد ..

لذا ، فلم يعد هدفى الأول هو الإبقاء عليك ، وعلى قربك وحبك ..

لم يعد من حقى حتى أن أطلبك بهذا ..

بل أصبح كل ما ينبغى على أن أفعله ، هو أن أعذر ..

أن أركع على ركبتي أمامك ، لأعترف بأخطائى ، وأعلن أسفى ..

لو أن هذا يمكن أن يعبر عما يدور فى نفسى ..

آسف يا حبيبتى ؛ على أننى لم أقدرك حق قدرك ..

آسف ؛ لأننى لم أمنحك ما تستحقين ..

لم أعطك ما تريدن ..

أو أمنحك ما ترغبين ..

آسف لأننى أضعت سنوات من عمرك ..

وحبك ..

وعطائك ..

وروعك ..

آسف ألف مرة ..

آسف .. (قصة قصيرة)

بل ألف ألف مرة ..

إننى حقاً لا أستحق رائعة مثلك ..

لا أستحق لحظة واحدة ، من لحظاتك المدهشة ..

ولست أحلم بعودتك ..

أو حتى بمغفرتك ..

كل ما أتمناه هو أن تسعدى فى حياتك كلها ..

بدونى ..

وأن تتذكرى يوماً ، أن آخر كلمة سمعتها منى هى آسف ..

آسف يا حبيبة العمر كله ..

آسف ؛ لأننى ضحية موروثة ذكورية عريقة ..

آسف ..

آسف ..

آسف ..

حتى آخر العمر .



(قصة قصيرة)

القرار ..

« العالم أصبح فاسداً .. » ..

هتف بالعبارة في حلق ساخط ، وهو يتحرك في عصبية ، داخل حجرة مكتبه الضخمة ، قبل أن يلوح بذراعه ، مستطرداً :

- العنف انتشر على نحو غير مسبوق ، ورائحة الفساد تزكم الأنوف ، وتكتم الأنفاس .. الدول الغنية تزداد ثراءً ،

القرار

والفقراء ينطحنون ويموتون جوعاً ومرضاً ، ولا أحد يمد يد المساعدة لأحد ..

كانت الحجرة خالية إلا منه ، وعلى الرغم من هذا ، فقد واصل الحديث ، وكأنه يخطب في جمع كبير :

- كل الدول تعاني من فسق المترفين .. أصحاب الأموال والجاه والنفوذ أصبحوا فوق القانون .. لا أحد يصل إليهم ، أو يعاقبهم على أفعالهم ، وهذا يصيب باقي المجتمع بإحباط غاضب .. الثورة تتكون في أعماق الكل ، ولا تنتظر سوى الشرارة التي تفجرها ، والتي تحولها ، في لحظة واحدة ، إلى حمم بركانية ملتهبة ، قادرة على ابتلاع كل شيء أمامها ، والتهامه بلارحمة أو هوادة ..

انطلقت في أعماق أعماق صدره زفرة ملتهبة ، كالحمم التي تحدث عنها منذ ثوان ، قبل أن يعود إلى مقعده الكبير ، ويلقى جسده عليه ، متابعاً في حدة :

- وعندئذ لن نصلح الجيوش ، أو حتى وسائل الأمن والسيطرة ، التي تحيط بها الحكومات أنفسها ، ونستخدمها لتكسيم أفواه شعوبها ، وثب الرعب في نفوسها ، وإجبارها على الطاعة والخضوع .. لن يصلح كل

هذا ، إذا ما اشتعلت الأمور ، فى إيقاف نهر الغضب
الناثر .. حكومات عديدة تصوّرت أن سياسة القمع
والترهيب تضمن لها البقاء والاستمرار ، وظلّت على
تصوّرها هذا ، حتى سقطت وانهارت ، وداستها الأقدام
الغاضبة ، أو علقتها الأيدي الثائرة ، على حبال
المشائى ..

مطّ شفتيه ، وعاوله ذلك الغضب الساخط ، وهو
يضيف :

- والحل ؟! لا يوجد حل .. لا يوجد سوى حل واحد .. أن
يفنى هذا العالم الفاسد كله ، ليبدأ بداية جديدة ، وقد تظّهر
من كل فساد وموبقاته .

تهض من مقعده بحركة حادة ، واتجه نحو النافذة ،
وتطلّع عبرها لحظة ، قبل أن يطلق زفرة ملتبهة جديدة ،
قائلاً :

- سيبقى البعض حتماً .. الإنسان لم يخترع - على الرغم من
جهوده المستمرة ، فى مجال الشر والتدمير - سلاحاً واحداً ،
يمكنه إبادة الحياة تماماً ، من على وجه الأرض .. حتى تلك
القتيلة فوق الأمنية الأخيرة ، قالوا إنها ستفنى ثمان وتسعين

القرار

فى المائة ، من صور الحياة ، على كوكب الأرض .. وليس
مائة فى المائة .. سيبقى إثنان فى المائة إذن ، وأنا وأنت
من أن القدر سينتخب الأفضل عندئذ .

صمت بضغ لحظات ، وهو يتطلع إلى ساحة قصره
الكبيرة ، الممتدة على مدى البصر ، قبل أن يتابع :

- هذا لأن الحياة لا بد وأن تستمر .. خاصة وأن تلك
القنبلة الجديدة قادرة على إفناء البشر والحيوان والطيور
فحسب ، أما المباني ، والمنشآت ، والتكنولوجيا ، وكذلك
النبات بأنواعه ، فكلها سيبقى ... سيبقى فى خدمة الاثنين
فى المائة ..

تتهذه هذه المرة ، مضيغاً :

- الحياة ستستمر ، دون فساد وخراب ودمار .. لن يكون
هناك مبرر للتناحر والتقاتل .. على الأقل لزمان قادم طويل ..
زمان ستحمل فيه الأرض كل خيراتها ، لعدد قليل من البشر ..
لن تكون هناك حاجة لأجهزة شرطة ، تسيطر وتتحكم ، بأكثر
مما تخدم وتحمى .. أجهزة تنافس عصابات اللصوص
والبلاطجية ، بدلاً من أن تجند جهودها للقضاء عليها ،
وتحجيمها ، وتأمين المواطن العادى البسيط من شرورها
وعنفها ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

عاد بلوَّح بذراعاه ، فى سخط عنيف ، مكرِّراً :

- عالم فاسد .. فاسد .. فاسد ..

وصمت لحظةً ، أطلَّ خلالها مقّت مخيف من عينيّه ،

وتفأطر على لسانه ، وهو يضيف :

- عالم لا يستحق البقاء .

لم يكد يكمل عبارته ، حتّى سمع طرقات حذرة على باب

حجرة مكتبه ، فاعتدل فى وقفة عسكرية صارمة ، وهو

يقول :

- ادخل .

دخل قائد القوّات إلى حجرته ، وأدّى التحيّة العسكرية

فى قوّة ، قبل أن يسأل :

- هل اتخذت قرارك يا سيادة الرئيس ؟!

اتعقد حاجباه فى صرامة ، وهو يسأله :

- هل راجعت الخبراء ، وتأكدت من أننا آمنون تماماً من

تأثيرها ، فى مخبئنا هذا ؟!

أجابه قائد القوّات فى سرعة :

- بالتأكيد يا سيادة الرئيس .

القرار

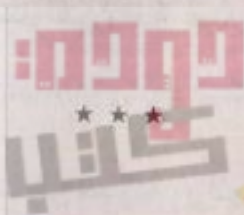
التقط نفساً عميقاً ، ثم قال فى حزم صارم أمر :

- اطلقها إذن .. اطلق القنبلة فوق الأمينية .

قالها ، وتألقت عيناه فى ظفر جنونى ، على الرغم من
أنه كان يشعر بالارتياح والثقة فى أعماقه ..

لقد اتخذ قراره بمنتهى الحزم والحسم ، و ...

والاعتناع .





الحن المفقود (قصة قصيرة)

مستحيل !

ما يطلبونه منه مستحيل تمامًا !

كيف خطر هذا ببالهم !؟

كيف يجرعون !؟

لقد فقدوها منذ أقل من عام واحد ، وعذاب قلبه وجراحه لم
تتدمل بعد ، فكيف كتوا بهذه القسوة ، ليطلبوه بلحن جديد ..

مستحيل !

مستحيل !

إنها لم تكن زوجته فحسب ، وإنما محبوبته ، وعشقه ،
وروحه ..

الكل كان يعرف قصة الحب الملتهب ، الذى جمع بين
قلبيهما طوال عامين كاملين ، قبل أن يرتبطا بالزواج ..
وكانا أسعد زوجين ، عرفهما الحقل الفنى ، عبر تاريخه
الطويل ..

حياتهما كانت قصة حب لا تتوقف أو تنتهى ..

قصة حب أثارت إعجاب الكل ..

ودهشتهم ..

وحسدتهم ..

وحقدتهم أيضًا ..

فالعديدون اتدسوا فيها ، وحاولوا إفسادها مرات ومرات ..

ومن أعماق حقدتهم الأعمى ، خرجت الأقاويل والشائعات ..

فى البداية نسبوا إليه خيانات عاطفية ، لم ترد بخطر قط ..

وعندما سخرت هى من هذا ، انقلبوا إلى وسيلة أخرى ،

فأشاعوا أن حبها له زائف ، وأنها تتظاهر به ، وتبالغ فيه ،
لتحظى بألحاته وموسيقاه الرائعة ..

ليجعل منها نجمة ..

بل وتمادوا ليثيخوا وجود علاقة حب ، تربطها بممثل
شباب ، فى مثل عمرها ، وأنهما يلتقيان كثيراً من خلف
ظهره ..

وكان نوره هو ليسخر من كل هذا ..

الأغبياء لا يدركون كم يحبها وتحبه ..

لا يعلمون أن علاقتها واتصالاتها بذلك الممثل الشاب
ضرورية ، لأنهما يستعدان للقيام ببطولة فيلم غنائى جديد ..
مجرد علاقة عمل لا أكثر ..

ولكنهم لا يفهمون ..

ولا يدركون ..

وها هم أولاء الآن يطلبون منه لحناً جديداً ، لأغنية شبابية
مرحة ، بحجة مرور عام كامل على مصرعها فى حادث
سيارة ..

روايات مصرية للجيب .. (٢٠٠٠ كوكبتين)

وعلى احتياجه الحتمى لأجر اللحن الجديد ..

وربما كانوا على حق فى النقطة الأخيرة ..

عام بلا عمل ، استهلك كل مخراته ، والتهم كل استثماراته ،
وتركه مع ما يكفى لإبقائه حياً فحسب ..

ربما كان بحاجة شديدة للمال بالفعل ..

ولكن مستحيل !

لن يمكنه أن يصنع لحنًا واحدًا ، وهى تحتل كل قلبه ..
ما زالت تحتل كيانه كله ، كما لو أنها ما زالت على قيد
الحياة ..

لا يمكنه نسيانها يوماً واحداً ..

أو حتى لحظة واحدة ..

لقد قضت معه عدة شهور ، ولكنها غرست نفسها فى
كل خلية من خلاياه ..

إنه يشعر بها ..

يراه ..

يسمعه ..

ولكن بعقله وقلبه فقط ..

لا .. لن يمكنه تلحين جملة موسيقية واحدة بدونها ..

ومن المستحيل أن يمنحهم لحناً هزياً رقيقاً ، بعد كل ما حققه من شهرة ومكانة !

مستحيل !

مستحيل !

ترك دموعه تنهمر على وجهه ، وهو يلتقط العود الأثري ، الذى ورثه عن والده الراحل ، وينحيه جانباً ، ثم يتجه إلى حجرتها ..

كثيراً ما جلس فى تلك الحجرة لساعات وساعات ، يتأمل كل ما لمستّه أصابعها فى حياتها ..

أثوابها ..

أدوات تجميلها ..

مجوهراتها ..

وحتى أوراقها ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

وفى حجرتها ، لم يستطع كبح مشاعره ، فاتفجر باكياً ،
وهو يلقي جسده على أقرب مقعد إليه ..

لا يمكنه احتمال فقدها ..

لا يمكنه أبداً ..

بكى طويلاً ، لساعة أو يزيد ، قبل أن يجفف دموعه ،
ويطرد فكرة اللحن الجديد تماماً من ذهنه ..

وفى حزن دافئ ، فتح درج مكتبها الصغير ، ليطلع آخر
صورها ، و ...

وفجأة ، سقط شيء ما بين قدميه ..

مفكرة وردية صغيرة ، كانت تختفى أسفل الدرج ، وسحبها
هو بيده دون أن يدرى ..

وفى ببطء ، اتحنى يلتقط تلك المفكرة الصغيرة الوردية ،
التي تحمل على واجهتها قلباً كبيراً بارزاً ..

يا للرقعة والنعومة !

هكذا نوقها دائماً ..

الحنن المفقود

ناعم ، رقيق ، أنيق .. متميز ..

وبقلب مرتجف ، فتح المفكرة ، وألقى نظرة على
ما بداخلها ..

إنها يومياتها ..

الأحداث التي تعيشها ، وتدونها بخطها الرقيق الصغير يوماً
فيوماً ..

وخفق قلبه في عنف ..

إنه يقرأ ، ولأول مرة في حياته ، ما كتبه هي عن
نفسها ..

عن حياتهما ..

وحبهما ..

ومع دقات قلبه القوية ، راحت عيناه تلتهمان كلمات
المفكرة الوردية ..

واتسعت عيناه عن آخرهما ..

لقد كتبت بيدها وخطها يوميات قلبها وحبها ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

كتبت اسمها ..

واسمه ..

واسم ذلك الممثل الشاب ..

وكان كل سطر في مفكرتها يحمل حباً بلا حدود ..

ولكنه حب لم يملأ قلبه بالسعادة ..

بل بالذعر ..

وطوال الليل ، راح يقرأ يومياتها ومشاعرها ..

ويقرأ ..

ويقرأ ..

ومع أولى نسمات الفجر ، التقط عوده الأثرى ، وراح

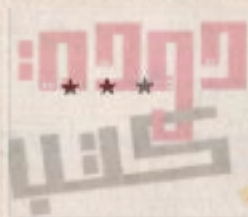
يضع أولى نغمات لحنه الجديد ..

الحنن الذي فقد ، طوال عام كامل ..

دون مبرر ..

وعندما استقبل الجمهور لحنه الجديد بإعجاب جارف ،
بعد عدة أيام فحسب ، ارتسمت على شفثيه ابتسامة سعادة
جارفة ..

ابتسامة لا تحمل أثراً للحن ..
أدنى أثر .



الموت حياً

(قصة قصيرة)

حبيبتى ..

اسمحي لى أن أستخدم لقب حبيبتى لآخر مرة ، وأنا أخط إليك هذا الخطاب ، الذى ربما لن أرسله إليك أبداً .. اسمحي لى أن أخاطبك ، ولآخر مرة ، باعتبارك الزهرة ، التى تفتحت فى قلبى ، وأينعت فى كياتى ، ومنحتنى أجمل وأعظم وأمتع سنوات عمرى ..

لست أدرى ، حتى وأنا أجلس أمام أوراقى وأقلامى ، لماذا أكتب لك خطابى هذا ، بعد أن لفظ حبك لى أنفاسه الأخيرة فى مسامعى ، ولا لماذا لم أستسلم للقدر ، الذى حرمنى منك ، ومن حبك ، ومن لحظات رائعة ، كنت أستمع فيها بقربك ، ولكن ربما لا أكتبه لك ، ولكن لنفسى ..

نفسى التى ألومها ألف مرة ، فى كل لحظة ؛ لأنها حتماً السبب فى تحول مشاعرك عنى ، وانصرافها إلى غيرى ...

فعندما غزل الحب خيوط عشقك فى قلبى ، شعرت به ينبض ، لأول مرة فى حياتى ..

ينبض نبضاً حقيقياً ، له نغمات أعذب موسيقى سرت فى وجدانى ، منذ تفتحت عيناي على الدنيا ، وأدركت لحظتها أننى

روايات مصرية للجيب ... (كوكتيل 2000)

لم أحب قط قبل أن ألتقيك ، ولم أعشق أبداً ، قبل أن تقع عيناى
على وجهك الهادئ الصبوح ، وابتهامتك المشرقة ، وبساطتك
الرائعة ، التى خلّبت لى منذ اللحظة الأولى ..

وكم كانت فرحتى وسعادتى ، عندما أدركت أنك تبادلينى حباً
يحب ..

بل وكنت أكثر منى حباً ، وأظهر نفساً ، وأغزر مشاعراً ..
والأهم ، أنك كنت الأكثر عطاءً وتفانياً ..
وهنا تكمن المشكلة ..

فطوال حياتى ، اعتدت أن أعطى أكثر مما آخذ ، ولكن معك ،
انقلب الحال واختلف ، ولست أدري حتى كيف

فجأة ، وجدت نفسى أنهل منك أكثر مما أعطيك ، وظللت أنت
تعطين دون حساب ، ودون انتظار أدنى مقابل ، مما أصابنى
بطمع لم ألقه ، ورحت آخذ منك أكثر ..

وأكثر ..
وأكثر ..

وظللت تعطين .. وتعطين .. وتعطين ..

ومع الوقت ، اعتدت عطاءك ، واعتدت طمعي وشراهمتي ..

وحتمًا جاءت لحظة الانكسار ..

ورويذا رويذا ، رحت تباعدني عني ..

كنت ما زلت تعطين بلا تقطير ..

وكنت أنهل بلا حساب ..

ولكن مشاعرك لم تعد صافية بسيطة كما كانت ..

عطاؤك لم يختلف ، ولكن مشاعرك تباعدت ..

وتباعدت ..

وتباعدت ..

وعندما انتبهت إلى هذا ، كان الأوان قد فات ...

عندما انتبهت ، كان قلبك قد ملّ أنانيتي ، وإسرافى فى الأخذ ،

وكان عقلك قد أرهقته متاعبي ومشاكلى المتصلة ، وكان حبي قد

تسلّل خارج قلبك ، حتى لم تعد نفسك تحتمله ، ولم يعد كيانتك

يرغبه ..

والعجيب أننى ، عندما بدأ كل هذا ، كنت ألاحظ إعجابك

الصامت بصديق مشترك ، وكنت أشاركك الإعجاب به ، ولكن

روايات مصرية للجيب ... (كوكتيل 2000)

أتأتيتي ، وثقتي المفرطة في حبك لي ، منعاني من الانتباه إلى ما
يمكن أن يولده هذا ، أو يفعله بقلب مرهف رفيق كقلبك ..

حتى جاء ما لا يمكن الإفلات منه ..

في لحظة ، أراد القدر أن يحسم الأمور ، فتوقفنا عن اللقاء
طويلاً ، لظروف خارجة عن إرادتي أنا على الأقل ..

وابتعدنا ..

ابتعدنا طويلاً ..

وكثيراً ..

وربما كنت أتصور أيامها أن حبنا حقيقة ثابتة راسخة ، وأنه
حتى النوائب والزمن ، لن يمكنهما النيل منه ..

ولكنني كنت واهماً ..

إننا لم نبتعد بجسدينا فقط ..

ابتعدنا حتى بمشاعرنا ..

وهنا ، ومع قربهِ اليومي منك ، تحقق المثل القديم ..

القريب من العين ، قريب من القلب ..

والبعيد عن العين ، بعيد عن القلب ..

كنت أنا بعيداً ، وكان هو قريباً ، وكان قلبك ما زال ينبض ..

ويحب ..

ويبهفو ..

ولكنني ، وبكل أسف الدنيا ، لم أعد أحظى بلمحة منه ..

كل ما بقى لديك ، هو إحساسى بالوفاء ، واقتناع بالولاء ،
وصراع فى الأعماق ، بين قلب يحب ، وعقل يقاوم .. وهنا شعرت ..

وخفت ..

بل ارتعبت ..

وفى لحظة ما ، أقنعتنى عقلى بأنه من الضرورى أن نفترق ..
من الضرورى أن أتركك لقلبك ..

لحبك ..

لشبابك ..

لنصرك الذهبى الجميل ..

ولكن قلبى كان يقاوم ..

ويقاوم ..

ويقاوم ..

فرق كبير جداً بين ما يفتح العقل ، وما يرضى القلب ..

فالعقل يدرك أن الحب ليس أبداً أنانياً ..

الحب هو الدافع الوحيد في الدنيا ، الذي يجعلك ترضين بسعادة
من تحبين ، وتسعين إليها ، حتى لو كان فيها حزنك أنت ..

والمك ..

وعذابك ..

العقل يدرك هذا ..

ولكن القلب يتمزق لمعرفة ..

وبعقلي ، عرضت عليك أن نفترق ، وأن تمضي في حياتك ،
وتصنعى المستقبل ، الذي يضمن لك السعادة والهناء ..

وبقلبي ، كنت أتمنى ألا يحدث هذا ..

أبداً ..

وفي البداية ، رفضت أنت العرض بشدة ..

رفضته ، ليس من منطق الحب ، ولكن من منطق الواجب ..

وفي هذا أيضاً ، فرق كبير جداً ، بين ما يقبله العقل ،
وما يرضاه القلب ..

عقلك كان يرفض التخلّي عني ، بعد سنوات الحب الطويلة ..

وقلبك كان يتمنى هذا ..

ويرغبه ..

ويريده ..

بشدة ..

وكلما كنت أشعر بتباعدك ، كنت أكرّر عرضي ..

وتكررين رفضك ..

وكان هذا يجعلنا نتباعد أكثر ..

ويجعل الأسوار بيننا ترتفع ..

وترتفع ..

وترتفع ..

وعندما أفقت ذات يوم ، وأدركت أن الأسوار قد بلغت نزوة

ارتفاعا ، أصررت أن نلتقي ..

ونتحدث ..

كان ذلك اليوم ، الذي التقينا فيه ، يوافق الذكرى العاشرة ليوم

روايات مصرية للجيب ... (كوكتيل 2000)

حبنا ، ورأيت ، ربما لأننى ما زلت أحتفظ ببقايا رومانسية ، أنه
أفضل يوم لحسم الأمور ..

وعندما التقينا ، كنت بطبيعتك الطاهرة ، تحاولين منحى شيئاً
من السعادة ..

وهذا ما أحببته فيك دوماً ..

وعشقته ..

واحترمته ..

كنت دوماً تبذلين كل الجهد ؛ لإسعاد من حولك ، على الرغم
مما يجثمك هذا من تعب ، ومشقة ، وتضحية ..

وكنت مصراً على المواجهة ..

وبعد احتفال بسيط ، قدّمت لك فيه آخر هدية ، أو هدية الوداع
كما أسميتها فى أعماقى ، واجهتك ..

أخبرتكَ بكل ما أشعر أنه يدور فى أعماقك ..

شرحت لك كيف أن كل ما أبتغيه هو سعادتك ..

وهناؤك ..

ومستقبلك ..

أبلغتك أنك لست مدينة لى بأى شيء ..
حتى المشاعر ..
وكنت مترددة ..
خائفة ..

لذا فقد ساعدتك بقدر إمكاني ، حتى تتجاوزى هذا ، وتصارحيني
بما يعمل فى نفسك ..

ويبدو أنني نجحت ..
لأنك بحت بما فى داخلك ..
أخبرتني أنك تشعرين بحب آخر ، ونمو فى أعماقك ..
حب تجاه ذلك الصديق ..

كان هذا ، على الرغم من توقعى إياه ، أشبه بخنجر ، انغرس
فى أعماق قلبى ، بمنتهى منتهى القسوة ..
وبينما قلبى يتزف ألما ، حاولت جاهدا أن أخفف عنك الأمر ..

كان عطفى يتحدث إليك بهدوء وروية ، ورصانة وخفوت ، وقلبى
يصرخ وينتحب ، ويكسى بدموع من حمم ملتهبة ، تسرى فى عروقى
كألف ألف نار ، لتشعل كل ذرة من كيائى ، وتدمى كل لمحة من
وجودى ..

روايات مصرية للجيب ... (كوكتيل 2000)

وبعد اللقاء والمواجهة ، كان من المحتم أن نفترق ..
فافترقنا ..

افترقنا ، وكيتى معزق ، بين عقل يدرك أن هذا حقك ، ولا أحد
فى الكون يمكنه منازعتك فيه ، وأن شبابك وجمالك يفتحان أمامك
مستقبلاً مشرقاً ، لا ينبغي لى ، أو لغيرى ، اعتراض طريقه ،
ولا أن يحرم الدنيا من زوجة رائعة ، وأم أكثر روعة ، ومن قلب
متفتح ، ونفس طاهرة ، وحنان يكفى لإسعاد الدنيا كلها ، ولا من
مشاعر نادرة ، تهفو كل خلية فى الكون إلى لمحة منها ، وقلب
يدعونى فى إلحاح إلى القتال ؛ للاحتفاظ بك ..

وسرعان ما حسم عقلى الصراع ..

افترقنا ، وقد عاهدت نفسى على أن أبعد تماماً عن طريقك ،
حتى تكونى حرة فى حياتك ، وحبك ، واختياراتك ، وأن أقتل
لواذع قلبى ، وأكتم تحيب حبى ، وأذبح آلام وجدانى ، وكل هذا
فقط ، لتسعدى ...

حتى لو كان هذا مع غيرى ..

صحيح أنه من المستحيل نسيان حب عشر سنوات ، حتى فى
عشرة أشهر ، ولكن الصراع انتهى ..

انتهى الصراع بين عقلى وقلبى ..

انتهى ؛ لأنه لم يعد لدى قلب ..

فعندما غادرت ، انتزعتَه معك ، ولم يعد ينبض كما عهدته ..

لم يعد ينبض ؛ لأنه كان ينبض فقط بحبك ، ويخفق فقط من

أجلك ..

وبعدك ، لا يحق له أن ينبض ، ولا يمكنه أن يخفق ..

كل ما بقى لى هو عذاب الندم ؛ لأننى حرمتك من حريتك لأعوام ،

لا يدرى سواك ، والله (سبحانه وتعالى) عدها ..

الندم على سنوات عمرك الذهبية ، التى قتلتها بأنانيتى ،

ولهفتى ، ورغبتى العمياء فى قربك منى ..

سنوات كنت فيها إلى جانبى ، بدافع الواجب ، لا الحب ..

وما أعظمك ..

ما أروع عطاءك الماسى العظيم ..

من أجله ، جلست أكتب ما أكتبه ..

ولكن ، هل يمكن أن أرسل إليك هذا الخطاب ؟! ..

لا أظن ..

روايات مصرية للجيب ... (كوكتيل 2000) روايه

لو أرسلته ، ستتصورين أنني أحاول استمالتك مرة أخرى ..
وأقسم إنني لم ولن أحاول هذا ..

لقد كانت السنوات السابقة عظيمة ؛ لأنني تصوّرت أن كل منا
لا يعشق سوى الآخر ، ولا يمكن أن يعشق سوى الآخر ..
إن قلبي ملكك ، وقلبك ملكي ..

وإلى الأبد ..

أما الآن فأنا أدرك أنه لم يعد لي ..
لن أرسل الخطاب ؛ لأنني لن أجرو ..
ولن أقدر ..

انسيني إذن يا حبيبة كل ذرة في كياني ..

امضي في حياتك ، ولا تلتفتي خلفك لحظة واحدة ...
وسامحيني ، واغفري لي ...

اغفري لي سنوات أضعتها من عمرك ..

سامحيني على مشاعر سلبتك إياها ، دون وجه حق ..

اغفري لي وسامحيني ، فما تصوّرت أبدا أننا سنفترق يوما ..

(الموت حينا (قصة قصيرة))

ولا تنشغلي ولو لوهلة بمشاعري أو حياتي ..

فقد ذابت مشاعري ..

ولم تعد لي حياة ..

كنت حياتي ، وحبى ، وكيانى ، ووجودى ..

وبعدك صرت مجرد كيان بشرى فارغ ..

جثة هامدة ، تمشى على قدمين ..

مجرد بشرى ، حكمت عليه الدنيا بعقوبة الحياة ، وينتظر فى

شوق ولهفة ، لحظة الإفراج ..

ولحظة الرحيل ..

أصبحت حيا ، فى عيون الآخرين ، وميتا ، فى واقعى الفعلى ..

وما أشق الموت ..

حيا ..

أنا ..



بشرة بيضاء .. (قصة قصيرة)

خفق قلب (نهلة) فى قوة ، وهى تلتقط أنبوبة الكريم الجديد من الصيدلى ، وراحت تلهث فى افعال عجيب ، أدهش الصيدلى نفسه ، وهى تنقذه الثمن ، ثم تضم الأنبوبة إلى صدرها فى سعادة جمّة ، وتهرع بها إلى منزلها ..

وحتى فى منزلها ، بدت الدهشة على وجه أمها ووالدها ، مع تلك الابتسامة الكبيرة التى تملأ وجهها دقيق الملامح ، ومرحها الزائد عن الحد ، وهى تلقى عليهما التحية ، ثم تهرع إلى حجرتها ، وتغلق بابها خلفها فى إحكام ..

بشرة بيضاء

وفى دهشة حائرة ، غمغم والدها :

- ماذا أصاب البنت ؟! هل ربحت جائزة ما ؟!

تطلعت الأم فى حنان إلى باب الحجرة ، قبل أن تغمغم
بتسمة :

- ليست الجائزة ما يسعد البنات ، إلى هذا الحد .

هتف مستكراً :

- وما الذى يمكن أن يسعدهن إذن ؟!

اتسعت ابتسامتها ، وهى تقول فى خفوت حنون :

- الرجال لا يمكنهم فهم هذا قط .

مطّ الأب شفتيه ، وأشاح بوجهه ، ليدفنه فى جريدة الصباح ،
متمتماً :

- يا للنساء !

أما (نهلة) ، فقد راحت تدور فى حجرتها بسعادة غامرة
وكان أنبوبة الكريم ، التى ابتاعها من الصيدلية ، تحوى كل
أسرار السعادة والهناء ، فى الكون كله ..

وبكل لهفتها وسعادتها ، انطلق عقلها يبحث عنه ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكبيل ٢٠٠٠)

عن ذلك الذى خفق له قلبها لأول مرة ، منذ وعت عيناها
الدنيا ..

(أيمن) ..

يا إلهى .. كم تحبه ..

كم تذوب عشقاً وسعادة ، كلما وقع بصرها عليه ..

إنه ، من وجهة نظرها ، مثال للشباب الكامل ، وفارس
الأحلام ، الذى تحلم به كل فتاة ..

وسيم ، أنيق ، هادئ ، مهذب ، وابن لعائلة طيبة ميسورة
الحال ..

أية فتاة فى الدنيا ، يمكن أن تسقط أسيرة حبه ، من النظرة
الأولى ..

من وجهة نظرها طبعاً ..

ولكن المؤسف ، فى كل هذا ، هو أنه لا يشعر بوجودها قط ..
صحيح أنه جم النشاط ، له روح اجتماعية طيبة ، وصادقات
بلا حدود ، داخل الجامعة وخارجها ..

إلا أنه لم يشعر بوجودها ولو مرة واحدة ..

ربما لأنها بطبيعتها خجولة منطوية ، لا تميل إلى الاختلاط
أو الاجتماعيات ..

بشرة بيضاء

أو لأنها لا يمكن أن تلتفت لاتباء أحد ..

وخصوصاً من كان محاطاً بالاهتمام مثله ..

وما إن جال هذا بخاطرها ، حتى توقّف خفقان قلبها ،
وفوجئت بدلو من المرارة ينسكب في أعماقها ..

وبكل تلك المرارة ، مالت تتطلّع إلى وجهها في المرأة ..

كانت ضليقة الجسد ، دقيقة الملامح ، عادية القسمات ، كما
أنها كانت ، وهذا هو الأسوأ من وجهة نظرها ، خمرية البشرة ..

ومن المؤكّد ، وفقاً لتقديرها ، أن فتاة خمرية مثلها ،
لا يمكن أن تلتفت لاتباء شاب وسيم مثله ، محاط دوماً
بالببيضاوات الجميلات ، اللاتي تصلح الواحدة منهن للعمل
كنجمة سينمائية ، تخلب لب المشاهدين في كل مشهد ..

وهي تؤمن تماماً ، بحكم مشاهداتها وتجاربها المحدودة ، أن
الرجال في العالم العربي ، لا يميلون أو ينجرون إلا بببيضاوات
البشرة فحسب ..

كثيراً ما كانت تسمع الكل يمتدحون فتاة ما ، ويصفونها
بأنها بيضاء كالقشدة ..

حتى أمها ، كانت تصف دوماً جارتهم (دلال) بهذه الصفة ،
للتأكيد على جمالها وحسنها ، وتبرير تهافت العرسان عليها ،
قبل أن تبلغ العشرين من عمرها ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

وفي كل مرة يردُّ فيها أحد هذا ، كانت تنكمش في أعماقها ،
وتنزوي بمشاعرها ، وتخفي مراثيها وحزنها ، وهي تتطلع إلى
بشرتها الخمرية ، التي لم توصف بالجمال قط ..

وحتى في كل مرة تشاهد فيها مذيعات التليفزيون ،
أو مقدمات البرامج ، أو حتى ممثلات السينما ، كانت تعرف أن
البشرة البيضاء ، والبيضاء وحدها هي سر الحسن والجمال ..
والحب ..

ولكنها اليوم وجدت الوسيلة إلى عالم الجمال ..

ذلك الكريم الذي شاهدت إعلانه في تليفزيون ..

الكريم الذي يمنح السمراوات والخمريرات بشرة بيضاء ..

حتى في الإعلان ، لم يهتم الشاب بالفتاة إلا بعد أن اكتسبت
بشرة بيضاء ..

هذا هو الجمال الذي يعترف به الكل ..

الجمال الحقيقي ..

وفي حماس ، أخرجت أنبوبة الكريم من علبتها ، وقرأت
التشرة المصاحبة جيدًا ، ثم بدأت تدهن وجهها بالكريم ، وهي
تحلم باليوم الذي تمتلك فيه سر الجمال والصن ..

بشرة بيضاء

وبينما تحلم بهذا ، سمعت دقات على باب حجرتها ، مع صوت والدتها الحنون الدافئ ، وهي تسأل في حذر :

- (نهلة) .. هل نمت ؟!

أسرعت تفتح الباب لأمها ، وهي تهتف يابتسامة كبيرة :
- بل أنا مستيقظة يا أمي .

تطلعت إليها أمها بحنان متسائل ، قبل أن تدلف إلى حجرتها ، وتجلس على طرف فراشها ، متسائلة في حذر أكثر :
- كيف حالك ؟!

ضحكت (نهلة) ، قائلة :

- بخير .. هل أتيت فقط لهذا ؟!

ارتبكت الأم ، وحاولت أن تجد في نفسها الجرأة ؛ لتلقى السؤال الحقيقي ، الذي يشغل ذهنها ، إلا أن لسانها تعلّق في حلّقها ، وهي تدور في الحجرة ببصرها في حيرة ، و ..

وفجأة ، وقع بصرها على ألبوبة الكريم ، وكالعريق الذي تعلّق بقشة ، التقطت الألبوبة ، متسائلة :

- هل ابتعت كريماً جديداً ؟!

أومأت (نهلة) برأسها إيجاباً ، وهي تبتسم في سعادة ، فألقت أمها نظرة على الكريم ، قبل أن تهتف في دهشة :

روايات مصرية للجيب .. (كوكبيل ٢٠٠٠)

- كريم لتبييض البشرة ؟! فيم احتياجك لشيء كهذا ؟!

هزّت (نهلة) كتفها ، وأشارت إلى وجهها ، قائلة :

- ما رأيك أنت ؟!

تطلّعت إليها أمها لحظة ، ثم ابتسمت في حنان ، مجيبة :

- رأيي أنك لست بحاجة إليه على الإطلاق .

ضايقتها عبارة أمها ، على الرغم مما فيها من حب ودفء ،

فقالت في عصبية :

- دعينا لا نخدع أنفسنا يا أمي .. البشرة البيضاء علامة

الجمال ، في (مصر) على الأقل .

هزّت أمها كتفها ، قائلة :

- ربما ، ولكن لكل ذوقه ، وكما يقولون في الأمثال الشعبية :

« لكل نوع من الحبوب كيّاله » ..

قالت (نهلة) بعصبية أكثر :

- وماذا لو أن كل الكياليين لهم منظور واحد ؟!

ابتسمت أمها ، قائلة :

- مستحيل ! لو أن هذا صحيح لما اتبهرت (مصر) كلها ،

بل واتبهر العالم كله ذات يوم بالفنّانة (سعاد حسنى) ،

واعتبروها رمزاً للجمال والحسن ، وهي خمرية البشرة مثلك .

قالت في إصرار :

- إنها حالة خاصة .. يكفي أنها كانت نجمة سينمائية .

قالت أمها في سرعة :

- وكيف أصبحت كذلك ، لو أن الكل يهوى صاحبات البشرة

البيضاء فحسب !؟

أجابتها بسرعة أكبر :

- لأنها موهوبة .

تتهافت الأم ، وكأنها تعلن بأسها من استعمرار المناقشة ،

ونفضت ، قائلة :

- افعل ما يروق لك يا (نهلة) .. إنها حياتك وأفكارك

يا بنيتي ، ولكن صدقيني .. أجمل ما في الإنسان هو ما خلقه عليه

الله (سبحانه وتعالى) ، وبه وحده سيجد قسمة ونصيبه ..

قالت أمها ، وخرجت من الحجرة ..

ومن المشكلة كلها ..

ولكن (نهلة) لم تقتنع ..

كيف يمكن أن ينهي حوار بسيط ، كل ما جمعه في أفكارها

وأعماقها لسنوات وسنوات !؟

إنها ستواصل استخدام ذلك الكريم الجديد ، حتى تحصل على
البشرة المطلوبة ..

البشرة البضاء ..

وكم أسعدها أن أتى الكريم مفعوله رويدًا رويدًا ..

فبعد أسبوع واحد ، لاحظت أن بشرتها صارت أكثر ضياءً ..

وبعد أسبوعين ، أصبحت قمحية ..

ثم بضاء ..

حتى زملاء الدراسة كلهم لاحظوا هذا ..

كلهم أثنوا على حسننها ، وجمالها ، وبياض بشرتها الجديد ..

كل زميلاتها السمرات سألنها عن اسم الكريم واستخداماته ..

ومع كل هذا التهافت ، اكتسبت نفسها ثقة كبيرة ..

ثقة جعلتها تعترض طريق (أيمن) ذات صباح ، وتسأله :

- أستاذ (أيمن) .. أما زالت هناك أماكن شاغرة ، في

رحلة (القناطر) ؟

رأت الدهشة ترسم على وجهه ، وانتقل إلى صوته ، وهو

يسألها بأسلوبه المهذب :

بشرة بيضاء

- هل ترغيبين في الانضمام إليها ؟

كانت هذه أول عبارة يتبادلانها ..

وأول مرة يبدى فيها اهتمامًا بها ..

يومها لم يخفق قلبها فحسب ، وإنما راح يرقص طربًا ،
وكأنها ملكة الدنيا كلها ..

ولقد استعدت لتلك الرحلة بكل ما تستطيع ..

انتقلت أفضل وأجمل ثيابها ..

وصففت شعرها عند مصفّف شعر معروف ..

ووضعت المزيد من الكريم ..

وعندما ذهبت إلى (القناطر) في أول رحلة تنضم إليها ،
منذ التحاقها بالجامعة ، كانت تمتلك بشرة بيضاء بحق ..

وثقة بلا حدود ..

ومع نهاية الرحلة ، اتجه هو إليها ، وهو يتقسم ابتسامة
عذبة ، ويقول :

- أنسة (نهلة) .. اسمحي لي أن أشكرك ، على نشاطك وحيويتك
وروحك العالية في الرحلة .. لقد كنت بحق أحد أسباب نجاحها ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكبيل ٢٠٠٠)

لم يكتف بهذا القول ، الذى فجر فى كياتها كل بنابيع الفرح
والسعادة ، وإنما احتلّ المقعد المجاور لها ، ليواصل حديثه
معها ، طوال طريق العودة ..

تحدثنا حول العديد من الأمور ..

الدراسة ..

والسياسة ..

والفن ..

والرياضة ..

وحتى عن الحب ..

وعندما وصلا إلى الكلية ، صافحها فى حرارة ، قائلا :

- أشكرك مرة أخرى يا آنسة (نهلة) ... لقد كان الحديث
معك ممتعًا بحق .. أرجو أن أجد الفرصة لتكرار هذا .

لا يمكن أن تبلغ السعادة هذا الكم أبداً ..

إنه لم يشعر بوجودها فحسب ، وإنما راق له مجلسها أيضاً ..

لقد أعجب بها ..

بل وربما أحبها ..

بشرة بيضاء

كم كانت على حق ، عندما منحت نفسها تلك البشرة البيضاء ..

كم كانت على حق ..

تضاعفت لديها تلك القناعة ألف مرة ، خلال الأسابيع التالية ..

لقد تكرر لقاءهما ، وتكررت أحاديثهما مرات ومرات ..

ليس هذا فحسب ، وإنما صار من المعتاد أن تراهما معا ،

منهمكين في الحديث ، طوال أوقات الفراغ في الكلية ..

ومع مرور الوقت ، أدرك الكل أن (أيمن) يحب (نهلة) ،

وأنها بدورها غارقة في حبه حتى النخاع ..

ولكن أحدهما لم يصارح الآخر بهذا قط ..

حتى كانت تلك اللحظة ..

لحظة عادية ، مثل كل لحظات مناقشاتهما ، توقف هو فيها

فجأة عن الحديث ، وتطلع إلى عينيها لحظة ، بكل حب وحنان

ودفء الدنيا ، قبل أن يقول دون مقدمات :

- (نهلة) .. أنا أحبك ..

لم يخفق قلبها لقوله ..

ولم يرقص بين ضلوعها فرحة وسعادة ..

لقد وثب فجأة من جسدها ، واستقر بين كفيه ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكبيل ٢٠٠٠)

وفى عينيه ..

وقلبه ..

كل ذرة فى كياتها أعلنت فرحتها وسعادتها ولهفتها وحبها ..

وكان من الطبيعى أن يفهم ..

وأن يثب قلبه بدوره بين يديها ..

وبكل حب الدنيا ، مال نحوها ، وتطنّع إلى وجهها ، الذى
اصطبغ كله بحمرة الخجل ، هامسًا :

- هل تعلمين .. أنت صورة مجسّمة لفنّاة الأحلام ، التى
أبحث عنها منذ حدثتى .. جميلة ، رقيقة ، مهذّبة ، مثقفة ،
واعية ، ومن أسرة طيبة .. كل صفة تمنيتها فى زوجة
المستقبل ، فيما عدا ..

بتر عبارته بفتة ، وكأتما وجد أنه من غير اللائق أن يكملها ،
وامتدّت أصابعه تتسلّل إلى كفها ، فسألته فى اهتمام :

- فيما عدا ماذا ؟!

بدا عليه الخجل ، وهو يغمغم :

- أمر بسيط ، لا يستحق الذكر ..

هتفت بحرارة عجيبة :

بشرة بيضاء

- أخبرني إياه .. أرجوك .

ارتبك أكثر ، وحاول أن يبتسم في خجل وحرص ، ثم لم يلبث أن هزأ كتفيه ، وخفض صوته ، وهو يجيب :

- فتاة أحلامي كانت دائما خميرة البشرة .

اتسعت عيناها بدهشة بالغة ، وحدقت في وجهه بذهول ، جعله يرتبك أكثر وأكثر ، ويلوح بيده ، قائلا :

- ولكن لا بأس بالبشرة البيضاء .. ستصبح بالنسبة لي أفضل بشرة ؛ لأنها بشرتك أنت ، و ..

قاطعته في حزم :

- (أيمن) .. هناك أمر أريد أن أعترف لك به .

وفي تلك الليلة ، ألقت أنبوبة الكريم الجديد في سلة المهملات ..

وتركت بشرتها تستعيد لونها الأصلي مع الوقت ..

لون الحب ..

الحقيقي .



(قصة قصيرة)

دموع الإنترنت

خفق قلب (هبة) في قوة ، وراح يرتجف في صدرها كطير
مبتل ، سقط وسط جبل من الجليد ، على الرغم من كل
ما تشعر به من دفء وحرارة في أعماقها ، وهي تمد
أصابعها الرقيقة ، لتضغط أزرار الكمبيوتر ، وتوصله بأسلاك
الهاتف ، تمهيدا لاتصالها بشبكة الإنترنت ..

وبكل جوارحها ومشاعرها ، تعلقت عيناها بالشاشة
الكبيرة ، في انتظار ظهور رسالته ..

رسالة (نادر) ..

ومرة أخرى ، ارتجف قلبها ، وراح يرقص بين ضلوعها ،
مع ذلك الرنين القصير ، الذي سبق ظهور الرسالة ، والتمعت
عينها بحب وحنان جارفين ، وهى تلتهم سطورها القليلة ،
فى لهفة ما بعدها لهفة ..

إنه هو ..

أخيراً عاد إليها ..

عاد بعد أسبوعين كاملين ، لم تصلها خلالها رسالة
واحدة منه ..

ولا أحد ، فى الدنيا كلها ، يمكن أن يتصور مدى اشتياقها
إليه ، ولهفتها عليه ، طوال تلك الفترة ..

هى نفسها لم تكن تتصور أنها تحمل له كل هذه المشاعر ..
بل ولم تتصور أبداً أن تشعر نحوه بأى شىء على
الإطلاق ..

فالعجيب أنها لا تعلم عنه إلا أقل القليل ..

فقط ما أخبرها هو به ..

وبيتما اتساب بصرها فى نعومة ، على أسطر رسالته
المحدودة ، راح عقلها يسبح مع ذكريات قريبة ..

روايات مصرية للجيب .. (مئكتيل ٢٠٠٠)

ذكريات عمرها ستة أشهر فحسب ..

ذكريات أول صدمة عاطفية فى حياتها ..

فطوال أعوام دراستها ، وحتى تخرّجت من كليتها النظرية ،
لم ترتبط (هبة) أبداً بعلاقة حب ، أو حتى إعجاب ..

كل زميلاتها كن يرتبطن بشباب فى مثل عمرهن ، ويربطن
حياتهن وقلوبهن بهم ، ويتحننن طوال الوقت عن مشاعرهن ،
وارتباطاتهن ، وأحلامهن الوردية فى الحياة والمستقبل ..

أما هى ، فلم تكن تتحدث أبداً ..

بل ولم تشعر قط بما كن يصفنه عن أعماقهن ..

صحيح أن قلبها الصغير كان يهفو للحب والسعادة والارتباط ،
ككل أنثى فى عمرها ، إلا أنه لم يخفق قط لأحد زملاء
الدراسة ، أو النادى ، أو حتى لابن الجيران ، كما يحدث فى
المعتاد ..

وكان هذا يدهش زميلاتها كثيراً ..

ويدهشها هى أكثر ..

وفى معظم لياليها ، كان قلبها يتساءل : لماذا لا تحب ؟

لماذا لم تشعر يوماً بأية عاطفة حقيقية صادقة تجاه أى شاب ؟!

إنها فتاة جميلة ، رقيقة ، مثقفة تنتمى إلى أسرة كريمة محترمة ، لها سمعتها الطيبة فى الحى كله ..

وهى أيضاً نشيطة ، اجتماعية ، تمارس حياتها الجامعية فى بساطة وثقة ..

ثم إن العديدين من الشبان قد حاولوا التقرب إليها والارتباط بها ..

ولقد حاولت أن ترتبط بهم أيضاً ..

ولكنها لم تنجح أبداً ..

شئ ما فى أعماقها كان يهوى فى محيط من الملل ، بعد دقائق معدودة من حديثهم معها ..

شئ ما فى عقلها ، كان يرفض الخوض فى أحاديث تافهة أو فارغة ، أو قضاء الوقت فى مراجعة ما فعله الآخرون ، وانتقاد كل تصرفاتهم ومشاعرهم ..

وشئ أكبر ، فى كيانها كله ، كان يأبى الارتباط ..

مجرد الارتباط !!

ولقد حاولت أكثر من صديقة إقناعها بالارتباط بشاب ما ،
بحجة أن هذا يضاعف من ثقتها بنفسها ، ويمنحها نوعاً
من الأمان النفسى والعاطفى ..

بل إن معظمهن حاولن دفع صديق أو آخر فى طريقها ..
ولكن علاقاتها لم تنجح أبداً ..

إما أن ترفض هى الشاب ، لأنه أنانى أو تافه ، أو يرفضها
هو بحجة أنها باردة عاطفياً ، أو جافة أكثر مما ينبغى ..
كلهم تقريباً حاولوا تجاوز الحدود معها ..

بل كان كل هدفهم ، منذ البداية ، هو تجاوز تلك الحدود ..
وكان هذا يحققها دائماً ..

يحققها ويغضبها ويثير اشمزازها إلى أقصى حد ..

وغضبها كان يبعدهم دائماً ، ويدفعهم إلى تردد الكثير
من الأكاذيب والأقوال عنها ، حتى لقد اتهمها أحدهم بأنها
سادية ، ووصفها بلوح الثلج الخشن ..

ولقد ألمها ذلك الوصف للغاية ، وجعلها تبكى طوال ليلة كاملة ، خاصة وأنها تعلم أنه ليس من السهل أبداً أن ينسى الآخرون هذا ...

سيُرددون وصفه مرات ومرات دون مراعاة لمشاعرها وآلامها ..

وهذا ما حدث بالفعل ..

أصبحت السخرية منها سمة عامة في الكلية كلها ، حتى آخر يوم فيها ..

ولم ينته كل هذا إلا مع تخرجها ، وعملها كمترجمة في شركة كبيرة للسياحة ..

ومع انهماكها في عملها هذا .. نسيت كل شيء عن الكلية وسخافاتها ..

وعن الارتباطات ..

حتى ظهر (هاتى) ..

(هاتى) هذا أحد زملاء عملها ، وهو شاب وسيم ، طويل ، أنيق باستمرار ، له ابتسامة عذبة ، لا تفارق شفقيه

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

قط ، وعينان زرقاوان ، تشعر وكأنك تغرق فيهما إلى أعماق
الأعماق ، إذا ما تركزتا على وجهك ..

ولقد فعلها معها ثلاث مرات ، فى يوم واحد ..

أول يوم تسلم فيه عمله معها ..

فى كل مرة كانت ترفع فيها رأسها إليه ، تجده يتطلع إليها
بعينه الزرقاوين ..

وفى المرة الثالثة ، وجدته أمامها مباشرة ، والتفت عيناها
بعينه لدقيقة كاملة ، لم ينبس أحدهما خلالها ببنت شفة ..

ودون أن تدرى كيف حدث هذا ، وجنت نفسها جالسة معه ،
فى كازينو صغير ، يطل على نيل (القاهرة) مباشرة ..

يومها تحدثت كثيرا وطويلاً ، دون أن يحاول حتى لمس
أصابعها ..

ولأن قواعدها دائماً صارمة حاسمة حازمة ، فقد تصوّرت
أن هذا دليل على أنه شاب جاد ومحترم ..

لم تنق قلبها له فى عنف ، أو تتراقص مشاعرها طرباً
من أجله ، كما كانت تصف صديقاتها ، ولكنها راحت تفكر

جدياً في الموعد المناسب ، الذي يمكن أن يأتي ليخطبها فيه من والدها ..

وكأى بنت ، لم تفصح عن رغبتها هذه أبداً ، ولكنها ، في الوقت ذاته ، راحت تنتظر موعد لقاتهما بلهفة واهتمام ، لتسمع من بين شفتيه كلماته الدافئة ، وعباراته الأنيقة ، التي تصف جمالها ورفقتها وحسنها ..

باختصار .. لقد أمنت مداعباته لروح الأثني في أعماقها .. وفي عملها ، لاحظ الكل هذا ، وأدركوا أنها توليه كل اهتمامها ، على الرغم من أنها تعتبر من الناحية الوظيفية ، رئيسته المباشرة في العمل ..

ولكنها لم تبال أبداً بهذا ..

كانت تفتتها بنفسها تدفعها لتجاهل تعليقات ونصائح الكل ، ما دامت مقتنعة بما تفعله ..

ثم جاءت الصدمة بغتة ..

وبلا مقدمات ..

فمنذ بدأ ارتباطها به (هاني) ، كانا يتبادلان الرسائل ، عبر شبكة الإنترنت ، في كل يوم ، تصحبها موسيقى عذبة ، على شاشة الكمبيوتر ..

روايات مصرية تلجيب .. (كوكبيل ٢٠٠٠)

وكانت هذه أجمل الرسائل التي تصلها عبر الإنترنت ..
وأسعد لحظات حياتها ..

ولكن يبدو أن الله (سبحانه وتعالى) لم يشأ تركها
طويلاً ، في جحيم الغش والخداع هذا ، فأعمى عيني
(هاني) وقلبه ، وجعله يُرسل إليها رسالة ، كان ينبغي أن
يُرسلها إلى أخرى ..

أخرى تدعى (نهى) ..
في البداية ، خُيّل إليها أنه قد أخطأ كتابة اسمها فحسب ..
ثم قرأت الرسالة ..
وتمزّق قلبها بمنتهى العنف .

كل حرف من حروف الرسالة تحوّل إلى خنجر حاد ماض ،
انغرس في مشاعرها بلارحمة أو هوادة ..

ففي رسالته ، كان يبيث (نهى) هذه حبه وگرامه ، بنفس
الكلمات والعبارات ، التي يُرسلها إليها هي ، ثم يُضيف إلى
كل هذا عبارات ساخرة لاذعة ، عن رئيسه المباشرة في
العمل ، وكيف أنه يتظاهر بحبها وگرامها ، حتى يحصل
منها على كل الامتيازات والاستثناءات الممكنة ، ويضمن
الترقى في العمل بسرعة أكبر ..



وكانت هذه أجمل الرسائل التي تصلها عبر الإنترنت .. وأسعد
لحظات حياتها ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

ولم يمكنها قراءة باقى الرسالة ، مع فيض الدموع ، الذى
انهمر أنهاراً من عينيها ..

لقد ذكر اسمها صراحة ، وأضاف إليه الوصف ذاته ، الذى
كانوا يستخدمونه فى الكلية ..

لوح الثلج الخشن ..

كان يعرفه منذ البداية ..

ويسخر منها طوال الوقت ..

كم بكت ليلتها !!

كم انهمر من دموعها وكرامتها وأحزاتها !!

إنها لم تتصور حتى أنها تمتلك كل هذا القدر من الدموع ..

وعندما أشرقت الشمس ، كانت قد اتخذت قرارها بالألا تبكى

ثانية أبداً ، من أجل رجل ..

أيّاً كان ..

وعندما التقت به فى الشركة ، كان هادئاً مبتسماً ، على

نحو يوحى بأنه لم يدرك هفوته بعد ..

أو لم يتصور حدوثها ..

ويحنان زائف سخيف ، سألها عن سر تورم جفنيها
واحمرار عينيها ، و

وثارت في وجهه بكل غضبها وعنفها وسخطها ..
انفجرت تشرح له ما فعله ، وتصف له خسسته ونذالته
ووضاعته ..

في البداية صدمه الموقف ، واحمر وجهه بشدة ، ثم لم
يلبث أن تحول بقة إلى قط شرس ، وراح يهاجمها بعنف
لامثيل له ، ويرد ذلك الوصف البغيض أمام الكل ..
والعجيب أنها ، وهي الضحية ، لم تحتمل هجومه المضاد
هذا ..

وانهارت ..

والأعجب أنها قد تقدمت باستقالتها ، في اليوم نفسه ،
وغادرت الشركة لآخر مرة ..

كانت تشعر بأنها قد فقدت كل شيء في الدنيا ، وهي تعود
إلى منزلها ..

ولكنها لم تبك ..

روايات مصرية للجيب .. (مكتيل ٢٠٠٠)

لم تَذرف دُمعة واحدة ، على ذلك الذى طعن كل
مشاعرها ..

أو حتى على العمل الذى تركته ..

ولأسبوعين كاملين ، رفضت كل محاولات صاحب الشركة ،
لإعادتها إلى منصبها ..

كانت ترفض تمامًا العودة إلى نفس المكان ..

حتى بعد أن قاموا بفصل (هاتى) ..

لم تعد تحتل العودة إلى نفس المكان ، الذى تردّد فيه ذلك
الوصف البغيض ، على مسامع الكل ..

إنها واثقة من أن أحدًا لن يرُدّه على مسامعها قط ..

ولكنهم سيتهامسون به فيما بينهم ..

وسيسخرون منه ..

ومنها ..

ولن يمكنها أبدًا أن تحتل هذا ..

وبعد ثلاثة أسابيع كاملة ، عادت تتصل بشبكة الإنترنت ،
التي قاطعتها طوال الوقت ..

ووجدت رسالته ..

أو بمعنى أدق .. رسائله ..

رسائل (نادر) ..

كان من الواضح أنه قد أرسل أولى رسائله في نفس
الليلة ، التي غادرت فيها عملها ..

وكانت رسالة رفيعة قصيرة ..

رسالة يواسيها فيها بكلمات تحمل كل رقة وغنوبة الدنيا ،
وعبارات تفيض بحنان جارف عجيب ، لم تتصور أن تشعر به
أبداً ، من كلمات مكتوبة على شاشة إلكترونية باردة ..

وفي رسالته الثانية ، كان يخبرها أنه لا ينتظر ردًا على
رسائله ، ولكنه شعر برغبة قوية في إرسالها ، ولا يمتنى
سوى أن نقرأها مرة واحدة ، ثم تمحوها بعد هذا تمامًا ..

ولقد حاولت محوها بالفعل ..

ولكنها لم تستطع ..

شيء ما في أعماقها منعها من هذا ، وجعلها تطالع باقي
الرسائل ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

كان يتحدث طوال الوقت عنها ، وعن رقتها ، ودفع قلبها ، وروعة مشاعرها ، ويحاول إقناعها بأن ما حدث لا يسىء إليها قط ، فهي قد أحببت ، ومنحت ، والطرف الآخر هو الذى أهان ذلك الحب ورفضه ..

ولسبب ما ، راحت تقرأ رسائله كلها مرات ومرات ..

وشعرت بالفعل بهدوء نفس كبير ، وهي تطالع كلماته ..

منطقه الهادئ والبسيط من شفاف قلبها ، ووجد سبيله إلى كيائها ، وداعب روح الأمل ، التي كانت تدفن فى أعماقها ..

لم تكن تعرف عنه سوى اسمه وعنوان بريده الإلكتروني ، الذى نقلته الشبكة تلقائياً ..

وعلى الرغم من أنها قد بذلت جهداً كبيراً لتجاهل الأمر ، وجدت نفسها تفكر فيه ، وتتساءل عن شخصيته ، وماهيته ، وكيف توصل إلى معرفة كل هذا عنها ..

ولبعض الوقت ، راودها خاطر مخيف ..

أمن الممكن أن يكون هو نفسه (هاتى) ، الذى يحاول الانتقام والسخرية منها مرة أخرى ؟!

دموع الإنترنت

أفزعها الخاطر بشدة ، وأثار الكثير من توترها وعصبيتها ،
حتى إنها قامت إلى جهاز الكمبيوتر ، وأرسلت إليه أول
رسالة ..

رسالة أخبرته فيها بما تخشاه ، بكل الصراحة والوضوح ..
وجاءت إجابته في سرعة ..

وهلع ..

جاءت ليخبرها فيها أن مخاوفها لا أساس لها من الصحة
وأنه لا يمكن أن يفكر مجرد تفكير في إيذاء مشاعرها ،
ولو بهمسة واحدة ، ثم صارحها بأن شقيقه زميل قديم
لـ (هاتى) ، وبأنه هو نفسه كان أحد زملائها في الكلية ..
ولقد أفزعها زمالته القديمة هذه في البداية ..

ولكن كلماته كانت توحى بالصدق والإخلاص ، حتى إنها
تصوّرت أن الكمبيوتر نفسه قد شعر بها وأحسها .

ولقد أرسلت إليه تعذّر عن شكوكها ، وأجابها هو بأن تلك
الشكوك كانت أفضل ما حدث له ، في حياته كلها ، لأنها
دفعتها للكتابة إليه على الأقل ..

ومن هنا ، راحا يتبادلان الرسائل ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكبتيل ٢٠٠٠)

ومع الوقت ، حصلت هي على عمل أفضل ، وتوطدت صلتها
به أكثر ، عبر شبكة الإنترنت ، وراحا يتبادلان المعلومات
والأفكار ..

وحتى الأحلام والأمنيات ..

ورويداً رويداً ، وجدت نفسها شديدة الاهتمام برسائله ،
وشديدة اللهفة لقراءتها كل يوم ..

وكثيراً ما حاولت أن تتذكره ، وسط شباب الكلية ..
ولكنها عجزت تماماً ..

حتى عندما استعانت بصور الحفلات والرحلات ..
كان بالنسبة إليها شخصاً مجهولاً ، تعرف اسمه ..
فقط اسمه ..

ولكنه أفضل شخص عرفته ، في حياتها كلها ..
شخص رقيق ، دافئ حنون ، مثقف ، وصريح ..
كل السمات ، التي عاشت تحلم بها منذ الأزل ، في فارس
أحلامها ..

ويوما بعد يوم ، راح (نادر) يتسلل إلى أعماقها ، ويغوص
في كيائها ، ويحفر سرداباً عميقاً في قلبها ..

دموع الإنترنت

و ذات ليلة ، وهى تنتظر رسالته بنهفة ، وجدت نفسها
تعترف بأنها تُحبه ..

تُحبه بكل جوارحها ..

ويا له من حب !

عبر شبكة الإنترنت ..

وبمبادرة منها ، أرسلت إليه صورتها عبر الإنترنت ..

ثم طلبت منه أن يرسل صورته ..

ولكنه لم يفعل ..

لقد تجاهل الأمر تمامًا على الرغم من أنها قد كررته مرتين ..

ثم بدأت كلماته وعباراته تكتسب بحزن عجيب ..

حزن لم يُفصح عنه قط ، ولكنه أقصَح عن نفسه بكل

وضوح ، فى كل حرف أرسله إليها ، حتى إنها سألته عنه ..

ولقد أدهشه سؤالها بالفعل ..

أدهشه ، حتى إنه قد أرسل إليها ولحده من أرق رسائله ،

يصفها فيه بذات القلب الدافئ ، ويؤكد لها أن رفقها وحنانها

وحدما أدركا الحزن فى عباراته ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

ولكنه لم يفصح عن سر ذلك الحزن ..

أبداً ..

ثم وصلتها منه رسالة عجيبة ..

رسالة رفيقة إلى درجة لم تعهد لها ، فى حياتها كلها ..

رسالة تحدثت فيها ، وكأنه يتحدث لآخر مرة ..



رسالة جعلتها تبكى .. وتبكى .. وتبكى ..

وتحطمت القاعدة ..

ها هى ذى تبكى مرة أخرى ..

من أجل رجل ..

صحيح أنه لم يقل شيئاً محزوناً فى رسالته ، ولكن قلبها
قرأ ما لم يكتبه ..

وشعر بما لم يفصح عنه ..

وبكل دموعها ولهفتها ولوعتها ، أرسلت ترجموه أن يفصح
عماً يعاينه ..

ولكنها لم تتلق جواباً ..

لا فى اليوم الأول ، أو الثانى ، أو حتى العاشر ..

وفى كل يوم ، كانت تبكى ..

وتبكى ..

وتبكى ..

وفى كل ساعة كانت تنتظر رسالته ..

وتنتظر ..

وتنتظر ..

أسبوعان كاملان ، تورمت فيهما عيناها ، وانفطر خلاهما
قلبها ، وهى تخشى ألا ترى رسالته مرة أخرى ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

حتى جاءت تلك الرسالة ..

كانت على عكس رسالته الأخيرة ، مفعمة بالأمل والحياة ،
على الرغم من سطورها القليلة ، التي قرأتها مرات ..
ومرات .. ومرات ..

كان يعتذر عن تأخره في الإرسال ، ثم يعد بإرسال رسالة
أخرى في المساء ..

يومها امتلأت نفسها سعادة لم تحس بمثلها قط طوال
عمرها ..

سعادة شملت كل ثرة في كيتها ، وجعلتها أشبه بالبدر المنير ،
حتى إن كل العاملين في الشركة الجديدة قد شعروا بهذا ،
وأعربوا عن سعادتهم به ، على نحو جعلها أكثر مرحًا
وسعادة ، و ...

وحبًا ..

وفي المساء ، كانت تنتظر الرسالة بكل حب وحنان ولهفة
الدنيا ..

ومع دقائق العاشرة والنصف وصلت الرسالة ..

وكانت تحمل أكثر من مفاجأة ..

دموع الإنترنت

لقد اعترف لها (نادر) بأنه يحبها ، منذ كتابا زميلين في الكلية ، إلا أنه لم يجرؤ قط على التحدث إليها ، أو محاولة الاقتراب منها ..

ثم اعترف بأن ملامحه ليست جميلة أبدا ..

بل ربما كانت أقرب إلى القبح ..

وهذا ما منعه من إرسال صورته إليها ..

كان يخشى أن يفقدها لو فعل ..

وهو لن يحتمل هذا أبدا ..

أما المفاجأة الأخيرة ، فهي أنه كان في الولايات المتحدة الأمريكية ، يجري عملية جراحية بالغة الدقة والخطورة ..

وهذا سر حزن رسائله الأخيرة ..

وسر انقطاعها أيضا ..

ولكن العملية نجحت ، وتجاوز هو مرحلة الخطر ..

وجرؤ على مصارحتها بكل مشاعره ..

وفي نهاية الخطاب ، أخبرها أنه سيعود على طائرة (مصر

للطيران) ، التي تصل مساء الغد ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

ليلتها أيضًا بكت (هبة) ، كما لم تبك من قبل ..
ولكن دموعها هذه المرة كانت تختلف ..
تختلف كثيرًا ..

فقد كانت تحمل العديد من المشاعر المتناقضة ...
يل كل مشاعر الدنيا ..

ولكنها كعادتها ، كانت قد حسمت أمرها ، واتخذت
قرارها ، عندما أشرقت الشمس ..

وفى مساء اليوم التالي ، كانت تقف في مطار (القاهرة) ،
مرتدية أجمل أثوابها ، وحاملة باقة من الزهور ، لتستقبل
(نادر) ..

ربما كان قبيحًا بالفعل ، في مظهره الخارجى ، كما
وصف نفسه ..

ولكنه سيظل فى نظرها أجمل رجل فى الدنيا كلها ..

ليس لأنه أرق وأعذب وأصدق وأروع إنسان عرفته فى
حياتها كلها فحسب ..

ولكن لأنه أيضًا حبيبها ..

حبيب عمرها .. الوحيد ..



سنة واحدة

[قصة قصيرة]

ترقرقت الدموع في عيني (غادة) ، وارتجفت تلك الابتسامة الحاتية الدافئة على شفثيها ، وهي تثبت تلك الصورة الكبيرة ، في منتصف أفضل جدار في المنزل كله ، ثم تستراجع لتلقى عليها نظرة طويلة ، قبل أن تنطلق من أعماق أعماق صدرها آهة حارة ، وهي تتمتم :

.. حمداً لله ..

كانت الصورة تضم (وائل) و (ولاء) ، ابني زوجها (خالد) ، في حفل تخرجهما في الجامعة الأمريكية ، والفرحة تغمر كل لحظة من ملامحهما بلا استثناء .

سنة واحدة

وانسابت دموعها على خديها ، وهى تستعيد ذكريات بعيدة ..

كم تمنى (خالد) أن يرى هذا اليوم ..

كم حلم بمشاهدة توعميه ، وهما يحصلان على شهادة التخرج ، بعد أن أصبحا شابين يافعين جميلين ..

كم فعل ..

وارتجفت شفتاها مرة أخرى مع تذكرها لتلك اللحظة الحزينة من حياته ..

اللحظة التى علم فيها أن تحقيق حلمه مستحيل !

وأنه لن يحيا ليرى ذلك اليوم ..

أبداً ..

كان هذا منذ عشرين عاماً تقريباً ، قبل أن يبلغ التوعمان عامهما الأول بشهر واحد ، عندما شعر (خالد) ببعض الألم فى جاتبه الأيمن ، فذهب لزيارة الطبيب ، مع زوجته (سهام) ، التى أبدت اهتماماً وقلقاً شديدين بالأمر ، على الرغم من سخريته من مخاوفها وقلقها ..

ولكن الطبيب شاركها القلق نفسه ، بعد أن قام بالكشف عليه ، بمنتهى الاهتمام والدقة ، ثم قال :

- أظننا بحاجة إلى بعض الفحوصات وصور الأشعة .

روايات مصرية للجيب (كوكتيل) (٢٠٠٠)

لم يبال (خالد) يومها كثيراً ، على الرغم من دموع (سهام) وجزعها ، وقضى ليلته يداعب طفليه ، اللذين لم يحبّ في عمره كله أكثر منهما ، ونام وهو يحتضنهما معاً ، وكأنما بينهما حبه ودفاء وحنانه ، ويحلم بمستقبلهما ونجاحهما ..

وفي اليوم التالي ، وتحت إلحاح (سهام) ، ذهب (خالد) لعمل القحوصات المطلوبة ..

وجاءت النتائج مفاجئة ..

ومفرعة ..

ورم خبيث في الكبد ..

وهوى قلب (خالد) بين قدميه ، وهو يحمل الأوراق كلها إلى الطبيب ، الذي راجعها في أسف وأكد تشخيص وتقرير المعامل ، ورثت على كتفه ، قائلاً في حزن :

- إنها إرادة الله (سبحانه وتعالى) يا ولدى .

غمغم (خالد) ، ذاهلاً منهاراً :

- وماذا عن طفلي؟! من سيربّيها ويرعاها من بعدى!؟

رثت الطبيب على كتفه مرة أخرى ، قائلاً :

- الله يرعاها دوماً يا ولدى .. ثم إن أمهما ما زالت

شابة .. أليس كذلك!؟

سنة واحدة

سأله (خالد) بصوت مرتجف :

- كم بقى لى من العمر ؟!

أشاح الطبيب بوجهه ، مغفماً :

- الأعمار بيد الله يا ولدى .

كرّر (خالد) فى عصبية :

- كم يا دكتور ؟!

صمت الطبيب بضع لحظات ، قبل أن يجيب :

- سنة واحدة على الأكثر .

غادر (خالد) المكان بعينين زائغتين ، وقلب تبكى خفقاته

بدموع من دم ، ورأس لا يحمل سوى كلمة واحدة ، تنقطر لها

كل القلوب ..

الطفلان ..

ما مصيرهما من بعده ؟!

لم يستطع العودة إلى منزله مباشرة ، خشية أن تقرأ (سهام)

النتائج فى ملامحه وشحوبه ، ف قضى ثلاث ساعات فى مكان هادئ ،

يرتب فيه أفكاره ، ويستعيد إيمانه بالله (سبحانه وتعالى) ..

روايات مصرية للجيب (كوكتيل) (٢٠٠٠)

أمامه سنة واحدة ..

هكذا قرّر الطب والعلم ..

ولكن من أدراه أنه كان سيحيا لحظة واحدة بعد هذا ، لو لم
يصب بالمرض ؟!

الأعمار بيد الله (سبحانه وتعالى) وحده ..

هو يمنحها لنا ، وهو (سبحانه) يحدّد متى يفتّزعها منا ..

كل شخص في الوجود يمكن أن يموت الآن ..

في لحظة واحدة ..

ودون أية أمراض أو متاعب ..

بل كل مخلوق ..

فلماذا يقلق نفسه بالأمر إذن ؟!

فليعيش حياته ، ويرى طفليه ، ويمنحهما كل حبه ورعايته
وحنانه ..

حتى تحين اللحظة ..

هذا ما ينبغي أن يفعله ..

وما ينبغي أن يحتفظ به سرّاً في أعماقه ..

وعندما عاد إلى منزله ، كان باسمًا ، هاشمًا ، وكأنما نسي كل شيء عن مصيره المرنقب ، حتى إنه استطاع بسهولة إقناع (سهام) بأن الفحوصات قد أثبتت أن كل شيء على ما يرام ، وأن ما يعتنيه لم يكن سوى بعض الإجهاد فحسب .

وعادت الدنيا تسير في إطارها الطبيعي ، مع استثناء واحد ..
لقد زاد تعلّق (خالد) بطفليه ، وراح يمنحهما المزيد والمزيد من الحب والدفع والحنان ، كما زاد اهتمامه بزوجته (سهام) ، وأخذ ينقل كل مدخراته باسمها ، و ..
ولكن فجأة ، سدّد إليه القدر ضربة عنيفة ..
ماتت (سهام) ..

ماتت فجأة ، بأزمة قلبية ، باعتهها بعد يوم عمل شاق ، على الرغم من أنها لم تشك أبدًا من أية متاعب صحية من قبل ..
وجنّ جنون (خالد) ..

لقد احتل طوال الوقت فكرة موته ، معتمدًا على أنه سيترك طفليه لأمهما ، التي ستحسن حتمًا رعايتهما وتربيتهما ، وستمنحهما كل الحب والحنان ..

وها هي ذي زوجته ترحل قبله ..

روايات مصرية للجيب (كوكتيل) (٢٠٠٠)

وبسبعة أشهر كاملة ..

الكل تصور أن ذلك الحزن الشديد ، الذى سيطر على كيانه كله ، يعود إلى فقدّه لزوجته ، التى ارتبط بها فى ريعان شبابهما ، بعد قصة حب طويلة ..

وكانوا على حق فى هذا إلى حد كبير ؛ فكل حبه لزوجته قد تحول إلى موجة من الحزن العارم ..

ولكن خوفه على طفليه ، وهلع من مصيرهما المنتظر ، بعد فقدان أبويهما ، كان يحول هذا الحزن إلى بركان من الألم والمرارة ، تتدفق حممه فى كل ذرة من كيانه ..

ماذا سيفعل الطفلان الآن ؟!

كيف سيواجهان الدنيا ، دون أبوين ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

الأساة الحقيقية هى أنه و (سهام) كانتا كفرعى شجرة مقطوعين ، كما تقول الأمثال العامية ..

هو وهى فقدتا أبويهما فى طفولتهما ، وعاشا يتيمين طيلة عمرهما ..

سنة واحدة .

وكلاهما عانى الكثير فى طفولته وشبابه ..

وها هما ذان ولداه يعانيان المأساة نفسها ، التى تمنى من
أعمق أعماق قلبه ألا يريها أبدا ..

وهو مستعد لفعل أى شىء فى الدنيا ، حتى لا يحدث هذا ..
أى شىء ..

ولكن عقله ظل عاجزاً عن التفكير فى أى حل منطقى ..
حتى ظهرت (عادة) فى حياته ..

جارية شابة لهما ، لم يكن يشعر بوجودها من قبل قط ،
ونكنها بدأت تظهر فى حياته بوضوح ، منذ وفاة (سهام)
لترعى الصغيرين فى غيابيه ، وتطعمهما ، أو تحملهما إلى



حضائنة الأطفال المجاورة ، وتعيدهما فى نهاية اليوم إليه ،
نظيفين باسمين ، عند عودته من عمله ..

روايات مصرية للجيب (كوكتيل) (٢٠٠٠)

ولدهشته ، كانت (غادة) تعامل الطفلين بحب جارف ،
وتغمرهما بحنان لم ير مثله قط ، حتى من زوجته (سهام) ،
أمهما الحقيقية ..

ولم يستطع هو فهم هذا أبداً ..

حتى عرف قصة (غادة) ..

لقد تزوجت مرة واحدة ، منذ عامين ، وتم طلاقها بعد عام
واحد ، لأنها ليست لديها القدرة على الإجاب مطلقاً ..

لهذا هي شديدة التعلق بالطفلين ، الذين يمنحها شعوراً
بالأمومة ، لن يمكنها الحصول عليه على نحو طبيعي أبداً ..
وهنا قفزت الفكرة إلى رأسه ..

وفي اليوم التالي ، وبعد مرور شهرين فحسب على موت
(سهام) ، تقدم يطلب يد (غادة) للزواج ..

ولقد أدهش هذا (غادة) بشدة ..

هل أدهش الكل ..

وأفزعهم ..

كيف يمكن أن يفكر في الزواج بهذه السرعة ؟!

هل نسي زوجته ، وحبها الجارف ، الذي تحدث عنه الكل ؟!

سنة واحدة

أم أنه يبحث عن برعى طفليه فحسب !؟

ولكن (خالد) لم يبال قط بما قاله الكل ..

كل ما فعله ، هو أن صارح (غادة) بالموقف كله ..

وبكل التفاصيل ..

صارحها بأمر مرضه ، وأيام عمره المعدودة ، واحتياجه

الشديد إلى وجودها ، من أجل طفليه ..

ومن أجله أيضاً ..

وكانت المفاجأة في انتظاره ..

لقد بكت (غادة) بكاءً حاراً على صدره ، وهي تصارحه

بدورها بأنها تحبه ، من أعماق أعماق قلبها ، وبأنها كانت

تخفي ذلك الحب في قلبها طيلة الوقت ، حرصاً على بيته

وزواجه وحياته وطفليه ..

وبكل حبها ، أخبرته (غادة) أنها توافق على الزواج منه ،

حتى ولو اقتصرته مدة زواجهما على أسبوع واحد ، وأن كل

ما تتمناه هو أن يمكنها إسعادها بأقصى ما تستطيع ، ومنحه

وطفليه كل حبها وحنانها ودفنها ..

بل كل ما بكياتها ..

وبسرعة أثارت دهشة واستنكار الكل ، تزوجاً ..

روايات مصرية للجيب (كوكبيل) (٢٠٠٠)

وكانت (عادة) صداقة في كل ما وعدته به ..

لقد منحته ومنحت طفليه كل حناها ، وحبها ، ودفاء قلبها
الكبير ..

ولم يكن (خالد) منافقاً أو مبالغاً ، عندما قال : إنه قد قضى
معها أجمل وأسعد أيام حياته ..

هذا ما تذكرته (عادة) ، وهي تتطلع إلى صورة حفل
تخرج (وائل) و (ولاء) ، ودموعها ما زالت تغرق
وجهها ، وهي تغغم :

- أخيراً تحقق حلمك ، وتخرج يا (خالد) .

احتضنها (خالد) بكل حب الدنيا ، وطبع قبلة على خدها ،
وهو يقول :

- من يصدق أنني عشت لأرى هذا اليوم !؟

أراحت رأسها على صدره في حب ، مغفمة :

- أطل الله في عمرك ، يا أحب الناس .

ابتسم ، وهو يضمها إليه في دفء ، قائلاً :

- الأعمار بيد الله يا حبيبتي .. منذ عشرين عاماً ، تصور الطب

أننى لن أحيأ سوى عام واحد ، ولكن إرادة الله (سبحانه وتعالى) ،

سنة واحدة

والحب الذي غمرت كياتي به ، حقًا المعجزة ، وهأنذا
حي أرزق ، بعد أن مات كل الأطباء ، الذين قرروا ما تبقى لي من
العمر يومًا .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة حانية محبة ، وهو يضمها
إلى صدره أكثر وأكثر ، ويتطلع إلى صورة حفل تخرج ولديه ،
مغمغماً :

.. لقد كانت معجزة حقيقية ، بكل المقاييس .

دفتت رأسها في صدره أكثر ، وتركت دموعها تنساب عليه ،
بكل فرحة وحب وسعادة الدنيا ، وهي تشاركه في صمت إيمانه
بتلك المعجزة ..

معجزة الحب .

★ ★ ★



قطرة حب (قصة قصيرة)

« سن الثلاثين يقترب .. »

قفز هذا الخاطر المفزع إلى رأس (سلوى) ، وهي تصفّف شعرها بغناية فائقة كعادتها ، أمام المرأة الكبيرة في حجرتها ، في ذلك الصباح المشمس الجميل ..

وفي قلق ليس له ما يبرّره ، مالت تلتقي نظرة فاحصة على ملامحها ..

ما زالت فاتنة ساحرة كما هي ..

قطرة حب

لا تجاعيد أو جلدًا داكنًا ، فى أى مكان من بشرتها ،
وبخاصة منطقة ما تحت العينين ..

كل صديقاتها يحسدنها فى غيرة ، على حسننها وجمالها ،
وشعرها الكستنائى الناعم ، وعينيها العسليتين الناعستين ..

كلهن يجمعن على أنها أكثرهن سحرًا وجاذبية وأناقة ..

ولكن العجيب أنها وحدها لم تتزوج بعد ..

جميعهن تزوجن وأنجن ، قبل أن يبلغن الثامنة والعشرين
من العمر ..

أما هى ، جميلة الجميلات ، وساحرة البنات ، ودرة المشلة ،
فما زالت كما هى ..

عذراء لم تتزوج ..

ولم ترتبط حتى بعلاقة حب قوية ..

كثيرون وقعوا فى غرام أناقتها ، وهوى جمالها ، وسحر
فتنتها ..

ولكن قلبها لم يقع فى حب أحدهم قط ..

لم تشعر أبدًا بالحب ..

أو حتى بقطرة منه ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

قطرة حب ..

ولهذا رفضت عشرات العرسان ..

هذا لأنه بدين ..

وذاك لأنه قصير ..

وآخر نحيل ..

ورابع بخيل ..

ويوم بعد يوم ، تناقص عدد المتقدمين ..

وتزايدت سنوات عمرها ..

ثم فجأة ، وجدت نفسها وحدها ..

حضرت أكثر من عشر حفلات زفاف لبنات الشلة ..

وحضرت (سبوع) المواليد أيضاً ..

وفى كل مرة كانت تفتن الكل ..

وتوقع قلباً جديداً ..

أو عدة قلوب ..

إلا قلبها هي ..

فبالنسبة إليه دائماً ، كانت النتيجة : لم ينجح أحد ..

قطرة حب

ثم فجأة ، ومن عامين كاملين ، تحولت العبارة إلى مضمون آخر ..

لم يتقدم أحد ..

والعجيب أنها لم تنتبه إلى هذا في البداية ..

ولكن أمها فعلت ..

أمها لاحظت أن أحدا لم يعد يتقدم لطلب يد ابنتها الجميلة ، وأبدت قلقها الشديد من هذا ..

ولكنها لم تبال - حينذاك - أو تهتم ..

فما زالت جميلة ، أتيقة ، وكل صديقاتها ، وحتى أزواجهن يعلنون هذا صراحة ..

وكانت هذه هي البداية ..

أزواج صديقاتها ..

إعجابهم بها ، في كل حفل أو مناسبة ، أثار غيرة صديقاتها وقلقهن ..

ورويدا رويدا ، رحن يحففن من ارتباطهن بها ، ويقللن دعوتها أو زيارتها ..

ومع مرور الوقت ، انقطعت صلاتها بهن أو كادت ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكبتين ٢٠٠٠)

وبدأت تنتبه للأمر ..

لقد تجاوزت التاسعة والعشرين منذ خمسة أشهر ..

وها هي ذى فى طريقها إلى الثلاثين ..

ويا له من رقم مفزع !!

العشرينات ، فى أية مرحلة منها ، ما زالت تحمل رنة الشباب ، ورائحة النضارة ..

ولكن الثلاثينات ليست كذلك أبداً ..

صحيح أن المرأة تبلغ فيها أوج أنوثتها ونضجها ..

ولكن ليس إذا ظلت عانساً ، بلا زواج ..

فى هذه الحالة ، تصبح الثلاثينات مرحلة انكسار ، وانحسار ، وانخفاض القرص إلى الحد الأدنى ..

لذا ، فلا بد أن تتزوج بسرعة ..

وقبل فوات الأوان ..

ولكن كيف ؟!

لقد انقطع سبيل العرسان بغتة ، ولم تعد هناك فرصة واحدة ..

إلا بمصادفة بحتة ..

قطرة حب

والعجيب أن هذه المصادفة قد حدثت .

كانت تعاون طفلة صغيرة على عبور الطريق ، وهي في طريقها إلى النادي ، عندما وقع بصرها عليه ..



كان يقف هناك ، على الرصيف المقابل ، يحدّق فيها بانبهار شديد ، وينقل بصره في دهشة وإعجاب ، بينها وبين الطفلة الفقيرة ، ذات الثياب الرثة ، وكأنه يتساءل : كيف اجتمع هذا وذاك ؟!

كيف يتعلّق الفقر بيد الحسن والجمال ، على هذا النحو ؟!

روايات مصرية للجيب .. (كوكيتيل ٢٠٠٠)

والأول مرة في حياتها ، وجدت نفسها تشعر بخجل شديد ، مع نظرات الانبهار والإعجاب في عينيه ، ولم تكذ تبلى الرصيف الآخر ، حتى منحت الطفلة الصغيرة جنيهاً ، وأسرعت تدنف إلى النادى فى ارتباك ..

وحاولت أن تطرد كل هذا من ذهنها ..

ولكنها لم تنجح أبداً ..

ولم تدر لماذا ؟!

إنه لا يشبهه ، ولا يمكن أن يشبه فارس الأحلام ، الذى صنعته فى خيالها ، وعاشت معه أجمل أحلامها ..

إنه أصلع ، قصير ، أسمر البشرة ، يرتدى منظاراً طبياً سميكاً ، وقميصاً لا يتفق قط مع سرواله الواسع ..

ربما هى نظرة الانبهار فى عينيه ، والتى لم تلمح مثلها منذ ما يقرب من العام !

ربما !

المهم أنه هو أيضاً لم يمنحها الفرصة للنسيان ..

لقد فوجئت به داخل النادى ، يحدجها بنفس النظرة المبهورة المسحورة ..

قطرة حب

وفى عصبية خجلى ، غمقت :

- ما هذا بالاضبط !؟

سألته قريبتها فى حيرة :

- ماذا حدث !؟

أشارت بظرف خفى إليه ، قائلة :

- هذا الرجل هناك ، يرمقنى بنظراته منذ ساعة كاملة .

تطلعت قريبتها إلى الرجل ، قبل أن تهتف ، بكل دهشة الدنيا :

- الدكتور (إيهاب) .. مستحيل !

سألته فى حدة :

- ما هو المستحيل !؟

أجابت قريبتها مبهورة :

- الدكتور (إيهاب) هذا أستاذ جامعى ، فى كلية الهندسة ،

وهو رجل وقور رصين للغاية ، و ...

صمتت لحظة ، ثم مالت نحوها ، وضحكت مضيفة :

- وأعزب .

تضرع وجهها بحمرة الخجل ، وهى تغغم :

روايات مصرية للجيب .. (كوكبيل ٢٠٠٠)

- وما شأنى أنا؟!

ضحكت قريبتها مرة أخرى ، وقالت :

- من نظراته هذه ، والتي لم أره يرمى بها أنثى واحدة ، طوال
الخمس سنوات الأخيرة ، أعتقد أنه شأته هو .

ثم عادت تميل نحوها ، مستطرده فى خبث :

- وربما أصبح شأتك أيضا .

تضرّج وجهها بخمرة الخجل والحياء ، وهى تغغم فى
أعماقها :

- ذلك الأصلع القصير ؟! مستحيل !

ولكن يبدو أن قريبتها كانت بعيدة النظر بالفعل ..

ففى اليوم التالى مباشرة ، تقدّم الدكتور (إيهاب) لطلب يدها ..

ولقد فاز بإعجاب واحترام والدها ووالدتها وشقيقها على نحو
عجيب ، حتى إنهم جميعًا راحوا يمتدحونه بشدة ، ويحثونها
على قبول مطلبه ، على الرغم من هيئته ، ومن الحلة السوداء ،
التي ارتداها على حذاء بنى اللون ..

ولقد قضت ليلتها كلها تدير الأمر على كل الوجوه ..

إنه أستاذ جامعى ، وأحواله المالية والاجتماعية مناسبة تماما ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

صحيح أن دبلته ما زالت فى إصبعها ، ولكنها لا تحتمل
الجلوس معه ، والتحدث إليه ..

ولا تطبق دعاياته السمجة ، أو مجاملاته السخيفة ..

كل شيء فيه يحرقها ، ويثير توترها وسخطها ..

لن يصبح فارس أحلامها أبداً

أبداً ..

والواقع أن الرجل كان مهذباً حنوناً للغاية ..

وكان يبذل قصارى جهده لإسعادها ، وخطب ودها ..

ولكنها كانت تستقبل كل هذا بجفاء وبرود عجيبين ، وفى كل
مناسبة تصرّ على تذكيره بأنها جميلة الجميلات ، وبأنه كان
بإستطاعتها الفوز بزواج أفضل منه بكثير ..

والعجيب أنه كان يحتمل ..

ويحتمل ..

ويحتمل ..

ومن جانبها ، كانت تفعل كل هذا بمنتهى الثقة ؛ لأنها تدرك
تماماً أنه لن يترك فرصة كهذه ، ولن يتخلّى عن فائنة مثلها ،
مهما قالت أو فعلت ..

قطرة حب

ثم إنها لم تعد تحتل تعامل صديقاتها معها ، وكأنها لصّة
رجال ، تسعى دوماً لسرقة أزواجهن ، بجمالها وعذوبتها
وأناقته ..

لذا ، فقد قبلت الخطبة ..

وفي الحفل ، الذى أقيم بهذه المناسبة ، كانت تخشى أن يسخر
الجميع منه ومن مظهره ، إلا أن أحداً لم يفعل ، حتى أخبت
زميلاتها ، وكأنهن جيفاً قد ارتحن لخطبتها ، حتى تنزاح
منافستها عن كواهلهن ..

وبعد الخطبة مباشرة ، ذهبت السكرة وجاءت الفكرة ..

هل سيمكنها أن تحتل الدكتور (إيهاب) هذا ؟!

هل يمكنها أن ترسم فى ذهنها صورتها معاً ، فى حفل

الزفاف ؟!

إنه ليس فارس أحلامها ، أو فارس أحلام أية فتاة فى الدنيا ..

هى بالذات كانت تستحق من هو أفضل ..

بكثير ..

ولقد راحت تردّد هذا لنفسها طوال الوقت ، حتى لم تعد

تطبق رؤيته ..

نظرة حب

لهذا كانت الصدمة عنيفة ..

فذات ليلة ، كانا مدعوين لحضور حفل عيد ميلاد إحدى صديقاتها ، عندما حضر لاصطحابها ، مرتدياً حلة بنية اللون ، وحذاء أسود ، وجورب أبيض ، ورباط عنق أزرق ..
وهنا ، وجدت نفسها تنفجر فيه ، بكل غضبها وحنقها ،
صاحبة :

- ما هذا الذى ترتديه ؟! هل تريد أن تصبح أضحوكة الجميع ؟!
هل تريد أن يسخروا مني ؛ لأننى تزوجت شخصاً لا يدرك حتى
كيف يرتدى ثيابه ؟! هل تحب أن ..
فوجئت به يقاطعها فجأة بحدة :

- كفى يا (سلوى) .. كفى ..

حدقت فى وجهه بمنتهى الدهشة ، وكأنها لم تتصور أبداً أنه
قادر على الغضب والثورة ، فى حين تابع هو بنفس الحدة :

- لا تتحدثى معى أبداً بهذا الأسلوب .. لقد احتملت عجزفتك ،
وغرورك وزهوك بنفسك طويلاً على أمل أن تتضج مشاعرك ،
وتهدأ انفعالاتك ، وتذكرى أن الله (سبحانه وتعالى) قد جعل
الزواج مودة ورحمة ، وليس صراعاً لإثبات الوجود وتأكيد
الذات ..

روايات مصرية للجبب ... (كوكتيل ٢٠٠٠)

كانت تشعر بارتباك شديد ، أمام ثورته المبالغته ، إلا أن
عنادها وغرورها جعلها تندفع قائلة :

- أنا أيضاً احتملت ذوقك الفاسد فى ..

قاطعها بحدة أكثر :

- مسألة الذوق هذه حجة سخيفة وتافهة ، فقد كان بإمكانك
توجيه النصح لى ، أو اختيار ملابسى ، أو تعليمى الاهتمام
بالمظهر ، وكنت سأستمع إليك حينئذ ، وأبذل قصارى جهدى
لتنفيذ هذا ، على الرغم من اقتناعى الشديد بأن الجوهر أكثر أهمية
من المظهر .. ولكن لا ضرر من جمع الحسنيين .. كنت سأفعل
كل ما يمكن أن يرضيك ، لو ...

بتر عبارته بغتة ، وتطلع إليها بتأثر كبير ، قبل أن يضيف
بصوت متهدج :

- لو أنك حملت لى فى قلبك قطرة حب واحدة .

واتسعت عيناه ، وهى تحدق فيه بدهشة ..

لماذا اختار هذا المصطلح بالذات ؟!

لماذا (قطرة حب) ؟!

إنها لم تنطقه أمامه قط !!

فمن أى مكان فى كياتها انتزعه ؟!

قطرة حب

وبكل مرارة الدنيا ، تابع (إيهاب) :

- لو أن قلبك حمل قطرة واحدة من الحب تجاهي ، لأمكنك تجاوز كل هذا ، والنظر إلى أي شيء جيد في حياتي ، أو شخصيتي ، أو تكويني .. ولكن من الواضح أن هذه القطرة مفقودة ، حتى إنني أتساءل لماذا وافقت على خطبتي ، لو أنك تبغضينني على هذا النحو ؟!

دفعها الغناد إلى أن تقول في حدة :

سل نفسك أولاً ، لماذا هرعت لخطبتي ؟! لقد بهرك جمالي وسحري ، وخلبت بك أناقتي و ...

قاطعها بدهشة كبيرة :

- جمالك وسحرك وأناقتك ؟! ما الذي جعلك تتصورين هذا ؟!

هتفت :

- هل تنكر هذا ؟! هل تنكر أنك قد اتبهرت بي .

أجابها بدهشة أكبر :

- لقد اتبهرت بالفعل ، ولكن ليس بجمالك وسحرك وأناقتك .

هتفت بعصبية شديدة :

- كاذب .

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

ولكنه تابع في مرارة :

- إننى أشاهد كل هذا فى النادي ، منذ عدة سنوات .. أشاهد
الجمال والسحر والأناقة فى العديديات .. وفيك بالذات ، دون أن
يثير هذا اهتمامى لحظة واحدة .

حاولت أن تبدو صلبة عنيدة ، ولكنها فوجئت بصوتها
يتخاذل ، وهى تسأله :

- لماذا كنت مبهوراً إذن ؟!

هز رأسه ، وهو يجيب فى تأثر شديد :

- كنت مبهوراً بعطفك وحنانك ورقة مشاعرك ، عندما عاونت
طفلة فقيرة رثة الثياب ، على عبور الطريق ، على الرغم من
جمالك وأناقتك .. قليلات هن من يفعلن هذا .. قليلات هن من
يتمتعن بقلب ناصع البياض ، وروح بسيطة كروحك ، على
الرغم مما يدفعك إليه الشيطان أحياناً ، من غرور وغطرسة ،
لا تناسيان أعماقك الحقيقية ..

ولأول مرة فى حياتها ، وجدت قلبها ينتفض بين ضلوعها
فى عنف ..

أحقاً ما يقول ؟!

قطرة حب

أهذا ما بهرته منها بالفعل ؟

العطف والحنان ، ورقة المشاعر ؟

« لن يمكنني الاستمرار يا (سلوى) .. »

حدقت في وجهه بذعر ، وهو يواصل :

- لن يمكنني المضي ، ما دمت قد فشلت في زرع قطرة حب واحدة في قلبك .. لن يمكنني إكمال طريق ، بدأ بحاجز هائل كهذا .

وبأصابع مرتجفة ، انتزع دبلتها من إصبعه ، ووضعها في راحتها ، وهو يضبط يدها بحنان دافئ ، قائلاً ، بصوت حمل حزناً بلا حدود :

- أبلغني اعتذاري لوالدك ووالدتك وشقيقك .. أخبرهم أنني كنت شخصاً قظاً سيئاً ، ولم يمكنك الاستمرار معي .. أخبري الجميع أيضاً أنك أنت فسخت خطبتنا ، حافظاً على سمعتك ومظهرك ، ولكن احتفظني بالشبكة ، لأنني أنا المسئول عما حدث ، وسيظل هذا سرّاً بيننا .. أقسم أن أحداً لن يعلم به أبداً ..

وتراقصت الكلمات على شفتيه ، مع الدمع الذي ترقرق في عينيه ، وهو يتمتم :

- الوداع يا (سلوى) .. صدقيني .. لن أنساك أبداً .

اتسعت عيناها عن آخرهما ، ولم تتحرك من مكانها خطوة واحدة ، وهو يغادر المنزل فى صمت ، ويفلق الباب خلفه فى هدوء شديد ، وكأنما يخشى أن يزعجها بصوته ..

ولم تذهب إلى حفل عيد الميلاد ..

بل ولم تخبر أسرتها حتى بما حدث ..

لقد ظلت يدها مطبقة على دبلته طوال الوقت ، وكأنما تخشى أن تفتح أصابعها ، فتتفلات منها ، كما أفلت هو ..

ولأول مرة منذ عرفته ، راحت تستعيد كل أفعاله وتصرفاته معها ..

كل حبه ..

وحنانه ..

ودفئه ..

واحتماله ..

ودون أن تدري ، وجدت دموعها تغرق عينيها ..

وشعرت بقلبيها يخفق ..

ويرتجف ..

ويبكي ..

قطرة حب

وقى أعماقه انسابت تلك القطرة ..

قطرة الحب ..

ودون أن تتردد لحظة واحدة ، وعلى الرغم من أن عقارب الساعة كانت قد تجاوزت منتصف الليل ، طببت رقم منزله ..

وما إن سمعت صوته ، حتى رقص قلبها بين ضلوعها ، وارتجفت الكلمات على شفثيها الجميلتين ، وهى تقول بكل حب ودفع وحنان الدنيا :

- (إيهاب) .. أنا آسفة ..

سمعته يهتف ، بكل دهشة وفرحة الدنيا :

- (سلوى) ؟

انهمرت دموعها مرة أخرى ، وهى تقول بنفس الدفء والحب والحنان :

- تعال .. أنا أريدك .

هتف بصوت حمل قدراً من السعادة ، يكفى العالم كله :

- افتحي الباب يا (سلوى) .. حتى لا أخترقه من فرط سرعتى .

أنهت المحادثة ، وقفزت إلى دولاى ملبسها ؛ لتتنقى أجمل أثوابها من أجله ..

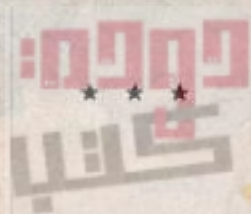
روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

من أجله وحده ..

وفي أعماق قلبها ، راحت تلك القطرة تتحول إلى نهر
متدفق ..

نهر من الحب ..

بلا حدود .





(قصة قصيرة)

ورحلت ..

فجأة ، قرّرت حبيبتي الرحيل ..
أو بمعنى أدق ، أعلنت عنه ..
فمنذ فترة ، وأنا أشعر بما يعمل في أعماقها ، وبما تشتعل
به نفسها ..
صحيح أنها واظبت على لقاءاتنا ، ولحظات حبنا ، ولم
تخلف موعداً من مواعيدنا قط ..
ولكن كل هذا افتقر إلى حرارتها المعتادة ، ولهفتها
المحبّبة ، وذلك الحب ، الذي كان يطلّ من عينيها وكلماتها ،

ورحلت

فريقص له قلبى ، وينتعث به كياتى ، ويتجند له شباب كل
خلية فى جسدى ..

كل هذا اختفى ، منذ فترة ما ، قبل أن تعلن رغبتها فى
الرحيل ..

حتى وهى تعلن هذا ، كانت جميلة ، رفيقة ناعمة ،
حانية ، إلى حد انفطر معه قلبى ، وذاب له وجدائى ..
لقد تحملت منى ومن أجل طويلاً ..

وكثيراً ..

تحملت عصبيتى ، وتغنتى ، وثوراتى فى أثناء مناقشاتنا ،
وإصرارى الدائم على رأى ، وتوبلت للمرض التى تعاوننى
باستمرار ..

تحملت كل هذا بصبر ، دام عدة سنوات ..

لأنها أحببتى ..

كان حبها عظيماً ، رائعاً ، عميقاً ، على نحو لم أتخيل
حتى وجوده ، منذ وعت عينائى الدنيا ..

وبكل ذرة فى كياتى ، أحببتها ..

بكل نبضة فى قلبى عشقتها ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

بكل نفس يردده صدرى أدمنتها ..

ولكننى لم أمنحها قط مثلما منحتنى ..

لم أمنحها الحب الكافى ، أو الدفاء المطلق ، أو الشعور
بالأمن والأمان ، الذى تنسده كل أنثى ..

لم أمنحها أبداً عُشر ما منحتنى إياه ..

كانت تتمنى أن يربطنا إطار شرعى دائم ..

وكنت أعلم أنها ستصبح أعظم زوجة فى الوجود ..

أعظم حبيبة ، وعشيقة ، وأم ..

ولكن أسباباً شتى حالت دون إتمام هذا ..

دون تحقيق حلمى وحلمها ..

ولقد بذلت قصارى جهدى ؛ للتغلب على كل العقبات ،
وتجاوز كل المصاعب ..

ولم يسمح لى القدر بهذا ..

كنت أقاتل ، وأقاتل ، وأقاتل ..

والأمور تزداد صعوبة وتعقيداً أكثر .. وأكثر .. وأكثر ..

وصبرت حبيبتى على كل هذا ..

ورحلت

وصبرت ..

وصبرت ..

لم يكل حبها وحنانها وعشقها قط ..

لم تتوقف لحظة عن منحى كل ما يمكنها ، حتى ترى
نظرة سعادة واحدة في عيني ..

ومن المؤكد أنها لم تجد صدى لكل هذا في نفسى ..

أو أنها قد تصوّرت هذا ..

المهم أن حبها قد فتر فجأة ..

لعلها ملّت ..

أو يئست ..

أو غضبت ..

المهم أنها لم تعد تحتل الاستمرار ..

ولم تفصح عن هذا قط ، إلا عندما سألتها أنا ..

لحظتها بكت ، ودفنت رأسها فى صدرى ، وأعلنتنى

أنها لم تعد تستطيع الاستمرار ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

لم تعد قادرة على منحى حبها ، بنفس القدر السابق ..

لم يعد باستطاعتها أن تصبر ..

أو تحتمل ..

أو تنتظر ..

لم يعد باستطاعتها أن تحيا على هذا النحو ، الذى يخالف طبيعة كل أنثى ، تبحث عن الأمان ، والاستقرار ، فى كنف من تحب ..

وبقيت عيناى جافتين ، على الرغم من الدموع الغزيرة ، التى انهمرت فى قلبى ، وأنا استمع إليها ، وأتطلع إلى وجهها ، الذى عشقته بكل كيانتى ، منذ أول لحظة وقع فيها بصرى عليه ..

وتركتها تفرغ كل ما لديها ، بكلماتها ، ودموعها ..

ولأول مرة فى حياتى ، شعرت بعجز ومرارة بلا حدود ..

فما معنى من زواجها ما زال قائما ..

وحبها ما زال يحتل وجودى كله ..

كانت لحظات لا يمكن نسيانها قط ..

ورحلت

أكثر لحظات حياتي ألماً ، وعذاباً ، ومرارة ..
فأنا لم أحبها فحسب ، وإنما عشقتها ، وذبت في هواها
حتى النخاع ..

ولكنني لم أستطع أن أقدم لها ما يعيدها إلى ..
ربما لأنني شعرت بأنها لم تعد تريدني كما كانت ..
فقط كانت ترغب في الابتعاد ..

والرحيل ..

حبيبتي لم تعد تَحْتَمِلُ متاعبي ..
أو تَحْتَمِلُنِي ..

ورحلت ..

رحلت حبيبتي الوحيدة ، وتركتني خلفها غير قادر على
النطق ، وعيناي تدوران في كل مكان حولي ..

كل شبر كان يذكرني بها ..

كنت أراها في كل ركن ..

أسمع ضحكاتها وكلماتها في كل مكان ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكبتيل ٢٠٠٠)

أشم عطرها الرقيق فى كل لحظة ..

وجهها لا يفارق خيالى قط ..

وقلبي لا يمكن أن ينساها أبداً ..

لا يمكننى أن أتصور الحياة بدونها ..

كم أشعر بالحزن لغيابها ..

كم أشعر بالوحدة دونها ..

وكم أجاهد وأقاتل ، بكل ما تبقى فى كىاتى من قوة
وإرادة وإصرار ؛ حتى أتقلب على تلك الظروف العسيرة ،
التي حالت بينى وبينها ..

ساعدنى يارب على تجاوز المحنة ..

ساعدنى على احتمال فراقها ، حتى يعود إلى حبيها ،
أو ترحل .. روحى .

★ ★ ★

(تمت)

روايات مصرية للجيب
كوتيل
٢٠٠٠

قلب البحر

قصة العدد

رواية
علاء الدين

مؤلف: علاء الدين
المنظمة العربية للثقافة
الكتاب: قلب البحر
الطبعة: الأولى ٢٠٠٠
العدد: ١٠٠

١- السفينة ..

« سفينة مجهولة تقترب من الميناء .. »

انطلق النداء بغتة ، عبر جهاز الاتصال ، فى مكتب العميد (ممدوح) ، مدير أمن ميناء الإسكندرية ، الذى لم يكد يسمع العبارة ، حتى اعتدل على مقعده فى حركة حادة ، وضغط زر جهاز الاتصال : متسائلاً :

- مجهولة ؟! ماذا تعنى بأنها مجهولة يا رجل ؟! أية سفينة تدخل مياهنا الإقليمية ، لابد وأن تحدد هويتها وبياناتها ، ومن غير المعقول أن تصل سفينة إلى الميناء ، دون أن تكون لدينا بيانات كاملة عنها ، من خلال ضابط اتصالها ، أو الشركة المائكة لها ، أو حتى قوات حرس السواحل !

بدا من الواضح أن الرجل ، على الطرف الآخر لجهاز الاتصال ، يعانى مزيجاً من الحيرة والارتباك والتوتر ، وهو يجيب :

- لم تصلنا أية معلومات ، بشأن هذه السفينة بالتحديد .

هتف العميد (ممدوح) ، وقد انتقلت إليه انفعالات الرجل :

- هذا مستحيل !

أجابه الرجل فى سرعة ، وكأنه يلقي ما لديه :

- هذا ما حدث .

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

التقى حاجبا العميد (مدوح) فى شدة، وعقله يلتهب بأسئلة،
تكاد تلتهم كل ذرة من كيانه ..

سفينة مجهولة !؟

أى مصطلح هذا ؟؟

إنه يعمل فى إدارة أمن الميناء ، منذ خمسة عشر عاما تقريبا ،
ولم يسمع هذا المصطلح مرة واحدة !

فالمفترض - وفقا لكل القوانين البحرية ، والمعايير والأعراف
الدولية - أن تعلن أية سفينة هويتها فى وضوح ، فور دخولها إلى
المياه الإقليمية لأية دولة فى العالم ، وأن تحصل على تصريح
بدخول أى ميناء ، وإلا فمن حق القوات البحرية أو قوات حرس
السواحل ، أن تتصدى لها ، وتوقفها بالقوة ، حتى ولو اقتضى
الأمر نفسها نسقا ، حماية للأمن القومى ..

وهذا لم يحدث مرة واحدة ، منذ التحق بالعمل ..

وحتى لو حدث ، فسيتم التعامل مع السفينة المعتكية ، عند حدود
المياه الإقليمية ، وعلى مسافة مئات الأميال البحرية من الميناء ..

ولو تجاوز الأمر كل الحدود ، لسبب ما ، ونجحت السفينة فى
تجاوز نطاق القوات البحرية ، وقوات حرس السواحل ، واتجهت
عنوة نحو الميناء ، فسيتم إرسال تحذير بما حدث ، حتى تنتظر
قوات الأمن وصول السفينة ، وتسعى لفرض سيطرتها عليها ،
فور رسوها على رصيف الميناء ..

قلب البحر

« السفينة المجهولة تواصل الاقتراب ، بسرعة تتجاوز الحد
الأمنى .. »

انترعت عبارة الرجل العميد (ممدوح) من أفكاره ، وأسئلته
الملتوية ، فازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يقول فى دهشة عصبية :

- ألم تبطئ من سرعتها ، استعدادًا لدخول الميناء ؟!

أجاب الرجل فى توتر بلغ ذروته :

- مطلقاً .. إنها تنطلق نحو الرصيف بسرعة عالية ، وفى خط
مستقيم ، ولا تستجيب للتحذيرات اللاسلكية أو الضوئية أو إشارات
الأعلام البحرية .

شعر العميد (ممدوح) بقشعريرة عجيبة ، تسرى فى كل ذرة
من كيانه ، وهو ينهض من مكانه ، متململاً :

- عجباً ! ولكن هذا يمكن أن ..

لم يتم عبارته ، وهو يندفع ، فى توتر متناه ، نحو النافذة الكبيرة ،
فى نهاية حجرة مكتبه ، والمطلّة على رصيف الميناء مباشرة ،
والنقط منظاره المقرب بحركة حادة ، قبل أن يصل إليها ، و ...

وتجمّدت كل ذرة فى كيانه ..

واتسعت عيناه عن آخرهما ..

فالأمر لم يكن يحتاج إلى أية مناظير ، مقربة أو مكبرة ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

لقد كانت السفينة واضحة للعين المجردة ..

واضحة في مشهد رهيب ..

رهيب للغاية ..

كانت سفينة سوداء ، داكنة السواد ، يرفرف على ساريتها علم كبير غير واضح المعالم ..

وكانت تتجه نحو الميناء مباشرة ..

وبسرعة مخيفة ..

وثقتية أو ثقتيتين ، ظل الصيد (ممدوح) يحثي في المشهد ، ثم لم يلبث أن انتفض في عنف ، وكأنما ينزع نفسه من حلم عميق ، ثم أراح (ضلفة) النافذة الزجاجية ، صارخاً بكل قوته وانفعاله :

- أخلوا المكان بأقصى سرعة .

وكان الجميع كانوا ينتظرون صيحه هذه ؛ فلم تكد تنطلق ، حتى انطلق الجميع معها ، يعدون في كل الاتجاهات ، دون نمط واضح أو محدد ..

لقد تفجّر نهر من الذعر والهلع في نفوسهم ، فتركوا ما بأيديهم ، وانطلقوا محاولين الفرار ، من ذلك الوحش المعدني الطائش ، بأية وسيلة ..

وبأقصى سرعة ..

قلب البحر

أما العميد (مدوح) ، فقد بلغ ثورته ذروة ، لم يبلغها من قبل قط ، وهو يراقب تلك السفينة المجهولة ، وهي تقترب ..

وتقترب ..

وتقترب ..

وبكل قوته ، تشبّثت أصابعه بإطار النافذة ، وتجمّد جسده ، على نحو لم يحدث في حياته كلها ، عندما صارت السفينة الرهيبة على بعد أمتار قليلة ، من رصيف الميناء ..

ثم كان الارتطام ..

أبشع مشهد رآه في حياته كلها ..

سفينة ضخمة ، ارتطمت برصيف الميناء ، وحطمت كل ما أمامها بمنتهى العنف ، قبل أن تثب فوق الياصة ، وتميل على نحو مخيف ، وهي تواصل اندفاعها ، واكتساح كل ما يعترض طريقها ..

واتسعت عينا العميد (مدوح) عن آخرهما ..

فالسفينة السوداء كانت تتجه ، في زحفها على الجزء اليايس ، نحو النافذة التي يقف عندها مباشرة ..

وبسرعة رهيبة ..

ولثانية ، تجمّد العميد (مدوح) في مكانه أكثر ..

وخلال تلك الثانية، بدت له السفينة، وكأنها تتضخم، وتتضخم، حتى تحولت إلى جدار أسود هائل، راح يتعاظم ويتعاظم، قبل أن يستيقظ عقل العميد (ممدوح) بفتة، ويطلق إشارة خطر إلى عضلانه، التي انتشر في عروقها الأدرينالين، الناشئ عن الانفعال، فالتقبضت كلها بمنتهى القوة، ودفعت جسده إلى الخلف، في نفس اللحظة التي ارتطمت فيها مقدمة السفينة المجهولة، بناقذة حجرة مكتبه، وحطمتها بمنتهى العنف، فتناثر زجاجها في كل اتجاه ..

ورفع (ممدوح) ذراعيه؛ في محاولة لحماية وجهه، من الزجاج المتطاير، وهو يصرخ باتفعال غريزي :

— مستحيل ! مستحيل ؟

لم يكن يرى ما أمامه، ولكنه كان يفرك مع دوى الأصوات من حوله، أن مقدمة السفينة الرهيبة تواصل تحطيم محتويات مكتبه، وهي تتجه نحوه أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ثم فجأة، توقف كل شيء ..

وتلاشى الضجيج إلى حد كبير ..

ومع توتره الزائد، خفض العميد (ممدوح) ذراعيه عن وجهه، واتسعت عيناه عن آخرهما، وهو يحدق فيما أمامه ..

قلب البحر

قى ذلك الامتداد المعتنى الأسود الهائل ، الذى بدا وكأنه
بلانهاية ..

فالسفينة السوداء المجهولة ، توقفت ، بعد أن حطمت كل
ما أمامها ، على مسافة ثلاثين سنتيمتراً منه فحسب ..

وكان هذا أعنف موقف واجهه فى حياته كلها ..

أعنف موقف على الإطلاق ..

ليس فى حياته فحسب ، ولكن فى حياة ميناء (الإسكندرية) ..

وفى تاريخه كله ..



بدا التوتر واضحاً ، على وجوه الحشد الهائل ، من رجال
الشرطة والجيش ، الذين أحاطوا بتلك السفينة السوداء ، التى
استقرت على رصيف الميناء ، فى مشهد رهيب ، ينافس أعنف
مشاهد أفلام الكوارث ، فى السينما العالمية ..

كان ثلثها الخلفى فقط ما زال داخل الماء ، فى حين استقر
ثلثاها الأماميان فوق الرصيف ، وغاصت مقدمتها كلها فى قلب
مبنى أمن الميناء الرئيسى ، فى حين مالت السفينة كلها على
جانبها الأيمن ، على نحو يوحى بأنه لولا استناد مقدمتها على
جدران المبنى الذى استحمته ، لسقطت على جانبها ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

أما ما يحيط بها ، فقد كان صورة مجسمة للدمار والفوضى ، حتى أن مدير الميناء كان يهتف ، فى مزيج من الغضب والمرارة :

- من سيتحمل تكلفة ما حدث ؟! من سيتحمل مسئولية كل هذا ؟! من ؟!

أجابه العميد (ممدوح) ، فى غلظة لم يتعمدها :

- اظمتن يا رجل .. إنه ليس أنت بالتأكد .

هتف مدير الميناء فى حدة :

- من إذن ؟!

زفر العميد (ممدوح) ، بكل ما يعتمل فى صدره من انفعالات والتهابات ، قبل أن يقول فى حدة :

- لا يمكنك أن تتصور كم أتمنى معرفة جواب هذا السؤال .

لم يكد يتم عبارته ، حتى جذب انتباهه صوت سيارة تقترب من المكان ، فاستدار إلى مصدر الصوت ، وهو يتوقع رؤية سيارة من سيارات الشرطة ، أو حتى من سيارات الجيش ، لذا فقد انعقد حاجباه بشيء من العصبية ، عندما لاحظ أنها سيارة مدنية عادية ، يقودها رجل وسيم الملامح إلى حد ما ، يرتدى حلة مدنية أنيقة ، وغمغم :

- من هذا بالضبط ؟!

قلب البحر

استدارت العيون كلها إلى السيرة، التي توقفت على مسافة ثلاثة أمتار
فحسب من يسار السفينة السوداء، قبل أن يغلرها الرجل، الذي بدا
هائلاً إلى حد مذهش، يتنقى مع كل قواعد العقل والمنطق، وهو يتطلع
إلى السفينة، قبل أن يقول، في صوت لا يقل هدوءاً عن ملامحه:
- إنها كما وصفوها تماماً ..

ولسبب ما، لم يحتمل العميد (ممدوح) هذا الهدوء الزائد،
فاتجه نحو الرجل، وقال في عصبية واضحة:

- من أنت بالضبط؟! وكيف دخلت بسيارة مدنية إلى هنا، في
مثل هذه الظروف، و...
قاطعته الرجل، وهو ينتقلت إليه في هدوء:

- اسمي (رائفت) .. من جهاز المخابرات .. وأنا أتولى القضية،
منذ هذه اللحظة.

اتعقد حاجباً مدير الميناء في توتر، وهو يردد:

- المخابرات؟! ..

وسرت مهمة غير واضحة في المكان، وكأنما يتناقل الجميع
الخبر، في حين تساعل العميد (ممدوح) بنفس العصبية:

- وما شأن المخابرات بأمر كهذا؟! اقتحام سفينة مجهولة
للميناء، أمر يخص الأمن العام؟! ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

ابتسم (رأفت) هذا فى هدوء ، وهو يقول :

- ربما كان للمسئولين رأى آخر .

قالها ، وهو يتجه نحو السفينة ، فلقى به العميد (ممدوح) ،
قائلاً ، وهو يحاول عبثاً السيطرة على عصبية :

- المفترض ، وفق ماتعمناه ، أنه لاشأن للمخابرات بالأمور
الدخلية ، وإن ..

قاطعها (رأفت) ، وهو يسأله فى اهتمام :

- هل صعد أحد إلى سطحها بعد ؟!

مطّ (ممدوح) شففيه ، وكأنما لم يرق له الأمر كله ، إلا أنه
أجاب فى توتر شديد :

- ليس بعد .. لقد استخدمنا مكبرات الصوت ؟ لنطالب من على
سطحها بالاستجابة ، ولكننا لم نلقى جواباً ، ثم إن العلم الذى يعطو
ساريتها ، غير معروف على الإطلاق ، لا بين الأعلام الدولية ،
أوحى البحرية .

رفع (رأفت) عينيه ، يتطلع إلى العلم ، الذى مازال يرفرف
على سارية السفينة ، بلونه الذهبى المتألق ، الذى تتوسطه دائرة
حمراء لامعة ، ثم قال فى هدوء :

- بالتأكيد .

قلب البحر

لم يَمُتْكَ (ممدوح) نفسه ، فقال فى حدة :

- يبدو أنك لا تبالي كثيراً بالأمر ، يا رجل المخابرات .

خفض (رأفت) عينيه إليه فى هدوء مدهش ، وتطلع إليه
بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يقول :

- لا تجعل الظواهر تخدعك يا رجل .

أراد (ممدوح) أن يقول عبارة أخرى ، يعارض بها قول رجل
المخابرات ، إلا أنه لم يكن قد فتح فمه بعد ، عندما تابع (رأفت)
(فى حزم :

- أريد ما يساعدنى على الصعود إلى سطح السفينة .

هتف (ممدوح) فى دهشة مستكرة :

- ألن ننتظر رجال المعمل الجنائى أولاً !!

أشار (رأفت) بيده ، قائلاً فى حزم أكثر :

- دعنا نرى أولاً ، ما إذا كنا سنحتاج إليهم أم لا .

قالها ، ثم بدأ يلقي تعليماته إلى من حوله ، لإعداد وسيلة
الصعود إلى سطح السفينة المجهولة ، فعقد (ممدوح) حاجبيه ،
وحاول أن يلوذ بالصمت لبعض الوقت ، إلا أنه لم يستطع تمالك
نفسه تماماً ، فقال فى شيء من الحدة ، حمل رنة غضب واضحة :

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

- وفقاً لما تعلمناه ، ينبغي ألا تتدخل ، فى مسرح الجريمة ، قبل وصول رجال المعمل الجنائى .

لم ترق له أبداً تلك الابتسامة ، التى ارتسمت على شفتى (رأفت) ، وهو يقول :

- مسرح الجريمة ؟! إننا لم نتأكد بعد ما إذا كنا أمام جريمة أم لا ، ياسيادة العميد .

فجأة ، ومع تلك الكلمات ، اتبته (ممدوح) فجأة إلى حقيقة الموقف ..

صحيح أن تلك السفينة قد افتتحت الميناء على نحو لم يحدث من قبل قط ، وأنها أثارت موجة غير مسبوقه من الرعب والتدمير فى المكان ، إلا أن شيئاً لم يؤكد بعد أن هناك جريمة ما ، وراء ما حدث ..

ربما افترض الكل هذا ، عندما لم تستجب السفينة لكل محاولات الاتصال ، حتى بعد ارتباطها بالميناء ..

أو ربما لأنه لم يظهر على سطحها شخص حتى واحد ، لا من طاقمها ، ولا حتى من ركبها ..

هذا جعل الكل يتصور أن السفينة تحمل جثث الجميع ، الذين لقوا مصرعهم لسبب ما ..

سبب لم يخطر ببال مخلوق واحد ..

قلب البحر

ولكن العنف ، والمفاجأة ، والتدمير ، كلها دفن الأذهان جميعها
نحو افتراض وجود جريمة ما ..

هذه هي الصورة الوحيدة ، التي ملأت عقول الجميع ، مع كل
ما حدث ..

ولكن رجل المخابرات هذا جاء ليلقى عبارة ، فجرت سؤالاً
مقلقاً للغاية في الأذهان ..

كل الأذهان ..

لو أن ما حدث ليس بسبب جريمة ما ، فما الذي يمكن أن
يكون ؟

كاد السؤال ينتقل ، من ذهن الصعيد (ممدوح) إلى لسانه ، وهو
يصعد مع (رائفت) وحدهما ، إلى سطح السفينة ، إلا أنه قرّر أن ينخره
لنهاية الفحص ؛ فقد تثبت المشاهدة أن هناك جريمة ما بالفعل ..

ولكن النظرة الأولى لم تكن توحي بهذا على الإطلاق ..

فسطح السفينة الغامضة كان هادئاً ، نظيفاً ، خالياً من أي أثر
للحياة ..

أو حتى للموت ..

لم تكن هناك جثثاً متناثرة ، كما رسم خيال (ممدوح) في
البداية ، أو بقع دماء ، أو حتى بقع مجهولة الهوية ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

كل شيء كان نظيفاً هادناً ، إلى درجة تتجاوز حتى ما يمكن وجوده ، في الظروف العادية ..

وبكل دهشة الدنيا ، هتف (ممدوح) :

- ما الذي حدث هنا بالضبط ؟!

أدار (رأفت) عينيه في المكان ، وهما يتجولان في أرجاء السفينة ، وأجاب بنفس الهدوء ، الذي مازال يستفز العميد (ممدوح) :

- سؤال جيد يا سيادة العميد ؛ فحتى الآن ، تبدو لي السفينة خالية تماماً من البشر ، أو من أي نوع آخر من الحياة .. بل يخيل إلي أنه لا يوجد بها حتى تلك الفئران ، التي تتواجد عادة في قاع السفن .

تطلع (ممدوح) في توتر إلى قمرة القيادة ، التي بدت مثالية أكثر مما ينبغي ، وكل شيء فيها مرتب منسق ، على نحو يوحى بأن يدًا لم تعبت بها ، أو حتى تزاول فيها أية أعمال معتادة ، منذ فترة طويلة للغاية ، وعادت عشرات الأسنلة تعربد في رأسه ، قبل أن يرفع عينيه مرة أخرى إلى ذلك العلم الذهبي ، ذي الدائرة الحمراء اللامعة ، مغمغماً في عصبية شديدة :

- لست أفهم شيئاً .. هذه السفينة تبدو وكأنها قد خرجت من حوض بناء السفن منذ قليل ، ولم يتم تدشينها بعد !! كيف تجاوزت مياهنا الإقليمية ، بحالتها هذه ، دون أن يستوقفها أحد ؟!

قال (رأفت) ، في شيء من الصرامة :

- إنها لم تفعل .

قلب البحر

استدار إليه (ممدوح) ، يسأله في دهشة متوترة :

- لم تفعل ماذا ؟

أجابه (رأفت) ، في صرامة أكثر :

- لم تدخل مياهانا الإقليمية ؟

هزّ (ممدوح) رأسه في عصبية ، قائلاً :

- أى قول هذا يا رجل المخابرات ؟ السفينة هنا بالفعل ، ولقد

تجوّلنا فيها معاً ، وفحصنا كل حجراتها تقريباً ، فكيف تقول إنها لم تدخل مياهانا الإقليمية ؟

استدار إليه (رأفت) بجسده كله ، وهو يقول فى حزم :

- ليس هذا ما أقوله يا سيادة العميد ، بل ما نقوله تقارير

إدارات القوات البحرية ، وزوارق المراقبة التابعة لحرس

السواحل .. هذه السفينة لم تعبر مياهانا الإقليمية قط ، بل ظهرت

فجأة ، على بعد عدة أميال بحرية من الميناء .. نعم لا تحقّق فى

وجهى بكل هذا الذهول المستنكر .. لقد سمعتى جيّداً .. هذه

السفينة ظهرت فى البحر فجأة .. ظهرت من العدم ..

وكانت مفاجأة للعميد (ممدوح) ..

مفاجأة مذهلة ..

٢- الأشباح ..

على الرغم من كل ما بذله من جهد ، لم يستطع العميد (ممدوح) أبدًا السيطرة ، على تلك الارتجافة التى سرت فى جسده ، ولتى تواصل رج مشاعره كلها ، منذ كان مع رجل المخابرات على متن تلك السفينة الغامضة ..

وعندما انتقلت تلك الارتجافة إلى أصابعه ، وإلى رشقات الشاى الساخن ، التى تتأثرت من طرف شفتيه ، شعر بحرق وسخط شديدين ، حاول أن يخفيهما ، مع توتره وارتجافته ، خلف تبرات غاضبة زائفة ، وهو يقول فى عصبية بدت مبالغه :

- قلت : إنك لن تستعين برجال المعمل الجنائى .

هز (رأفت) كتفيه فى هدوء ، وهو يجيب :

- بل قلت : إننا لاندري ما إذا كنا سنحتاج إليهم أم لا .. لقد صنعنا إلى سطح تلك السفينة ، وكلانا يجهل تمامًا ما يمكن أن يواجهنا هناك ، ثم ..

قاطعته (ممدوح) بحدة مفاجئة :

- هراء .

التفت إليه رجل المخابرات ، بوجه يخلو من الانفعالات تقريبًا ، فتابع فى حدة :

قلب البحر

- أراهن أننا ، عندما صعدنا إلى تلك السفينة ، كنت أنت تعلم ما سنجده هناك .

كان يتوقع غضباً أو استكراً ، أو محاولة غليظة للنفي على الأقل ؛ لذا فقد أدهشه حقاً أن ارتسمت ابتسامة هادئة ، على شفתי رجل المخابرات ، وهو يقول :

- ومن أين لي أن أعرف ؟!

صاح به (مدوح) ، وقد تضاعف غضبه :

- إنك لم تبد أية انفعالات مناسبة ، عندما وجدنا ما وجدناه هناك .

مال (رأفت) نحوه ، وسأله بمنتهى الهدوء :

- وما الذي وجدناه هناك ؟!

تراجع (مدوح) بحركة حادة ، واتسعت عيناه في هلع عجيب غير مبرر ، قبل أن يقول في حدة :

- لا شيء ..

وصمت لحظة ، قبل أن يستطرد في حلق :

- وكان هذا كفيلاً بأن يدهشك .

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

لم يعلق (رأفت) على القول لبضع لحظات ، وإنما بدا أكثر غموضاً من أية لحظة مضت ، وهو يتطلع إلى عيسى (معدوح) مباشرة ، في صمت تام ، قبل أن يعتدل فجأة ، ويقول في حزم :

- عندما تبدأ مهمتى بتقرير عن سفينة غامضة ، تحمل علماً مجهولاً ، ظهرت فى مياها الإقليمية ، وعلى شاشات راداراتنا فجأة ، وكأنا نبتت من العدم ، فمن الطبيعى أن يكون لدى كل الاستعداد ، لاستيعاب أية مفاجأة أخرى ، على متن تلك السفينة ، بعد أن ارتطمت بأهم موانئ (مصر) ، على نحو يوحى بأنها كانت تنطلق طوال الوقت بلا قبطان .

استوعب عقل (معدوح) هذا المنطق بسرعة عجيبة ؛ إذ لم يستغرق سوى ثوان ثلاث ، حتى خلاها فى وجهه (رأفت) ، قبل أن يسأله ، فى توتر لم يفارق صوته بعد :

- وهل رأى المسئولون أن المخابرات هى أفضل جهة ، للتحقيق فى أمر كهذا ؟!

ترجع (رأفت) فى مقعده ، فى هدوء عجيب ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يواصل التطلع إلى (معدوح) فى صمت ، لفترة زادت عن الدقيقة الكاملة ، قبل أن يسأله فى اهتمام :

- هل سمعت يوماً عما يُعرف باسم (تجربة فيلافيا) ؟!

اتعقد حاجباً (معدوح) فى توتر ، وهو يتساءل :

- تجربة ماذا ؟!

قلب البحر

هز (رافيت) رأسه فى بطنه ، ثم قال فى حزم لم ينتقص من هدونه المدهش :

- فى نزوة الحرب العالمية الثانية ، وبالتحديد فى أكتوبر ١٩٤٣م ، فى القاعدة البحرية الأمريكية فى (فيلادلفيا) ، أجريت تجربة مذهلة ، كان من الممكن أن تغير تاريخ العالم كله .

تساعل (ممدوح) ، وتوتره يتصاعد :

- أية تجربة تلك ؟

واصل (رافيت) ، وكأنه لم يسمعه :

- لقد قام فريق من العلماء بتركيب عدد من الأجهزة ، على المدمرة البحرية (DE - 173) ، وعلى منمرتين أخريين حولها ، ثم بدأت التجربة ، فأطلقت المدمرتان الأخريان طاقة ما ، اتصلت بالأجهزة على متن (DE - 173) ، وأحاطتها بطنين قوى ، و

قاطعه (ممدوح) فى عصبية :

- هل ستواصل الخوض فى التفاصيل طويلاً ؟

رمقه (رافيت) بنظرة هادئة صامتة ، قبل أن يعادل بحركة حاسمة ، قائلاً :

- اختفت .

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

ردد (مدوح) ، فى توتر عصبى حذر :

- ما الذى اختلفى ؟!

أجابه (رافت) فى حزم :

- المدمرة (DE - 173) ، اختلفت تمامًا (*) .

فغر (مدوح) فاه ، دون أن ينطق بكلمة واحدة ، فنهض
(رافت) من مقعده ، وهو يواصل بنفس الحزم :

- فى ذلك الحين ، اختلفت المدمرة ، أمام أعين الجميع ، بعد أن
تمت إحاطتها بمجال كهرومغناطيسى قوى ، وعلى الرغم من هذا فقد
فشلت التجربة تمامًا ؛ لأن المجال الكهرومغناطيسى ، الذى أخفاها
عن الأعين ، أصاب كل البحارة على سطحها بما يشبه الجنون ،
بل وتسبب فى مصرع اثنين من أفراد طاقمها أيضًا ، كما أن
أجهزتها كلها أصيبت بالخلل ؛ بسبب المجال نفسه ، مما جعل الكل
يجزم بأن فكرة الإخفاء ، بهذا الأسلوب بالذات ، غير مجدية على
الإطلاق ، مما ألقى التجربة ونتائجها كلها فى غياهب النسيان .

شحب وجه (مدوح) ، على نحو عجيب ، وهو يغمغم :

- إنك لا تقصد أن ..

قاطعه (رافت) بإشارة من يده ، جعلته يطبق شفتيه تمامًا ،
فى حين تابع هو :

(*) تجربة حقيقية ، لم تعترف الولايات المتحدة بإجرائها رسميًا أبدًا ،
ولكن المشاركين فيها كلهم أكدوا حدوثها ، فى ذلك التاريخ .

- التجربة التي أخبرك عنها ، تمت منذ ما يزيد عن ستين عاماً ، وكلاهما يعلم كم تطوّر العلم ، خلال تلك الفترة الطويلة ، فلقد قرأت في إحصائية علمية قريبة ، أن العلم قد تطوّر ، خلال الأعوام العشرين الأخيرة ، بمعدل يفوق ضعف تطوّره ، منذ القرن الثالث الميلادي ، حتى منتصف القرن العشرين^(*) .

تمت العميد (ممدوح) مبهوراً :

- يا إلهي ! يا إلهي !

مطّ (رافت) شفّتيه ، قبل أن يسأله :

- هل استوعبت الأمر ؟!

أطلق (ممدوح) زهرة منتهية ، من أعماق أعماق صدره ، قبل أن يغمر في عصبية بالغة :

- إنني أبذل قصارى جهدي .

أزاح (رافت) ستارة نافذة تلك الحجرة ، التي يجلسان فيها ، في مبنى الدائرة الجمركية ، وألقى نظرة طويلة على السفينة المجهولة ، التي بدت رهيبة المظهر ، مع أضواء الغروب ، التي امتزجت بمصابيح الميناء ، والأضواء التي يستخدمها رجال العمل الجنائي ، المنتشرون على سطحها ،، والذين يقومون بفحص كل سنتيمتر منها ، في حين ارتشف (ممدوح) رشفة من الشاي ، الذي فقد الكثير من حرارته ، قبل أن يتساءل :

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

- هل تعتقد أن هذه السفينة المجهولة ، هي امتداد لتلك التجربة
فى (فيلادلفيا) ؟

صمت (رأفت) بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى حزم :
هذا احتمال وارد .

تساعل (ممدوح) فى عصبية :

- ولماذا اختيار ميناء (الإسكندرية) ، لاختبار أمر كهذا ؟!

هزّ (رأفت) رأسه ، مغمما :

- من يدري ؟!

وعاد إلى صمته بضع لحظات أخرى ، وهو يواصل مراقبة
السفينة ، عبر زجاج نافذة الحجرة ، ثم لم يلبث أن استدار إلى
(ممدوح) ، قائلا :

- من الواضح أن هذه السفينة نتاج تجربة ما .. ليست تجربة
مماثلة لما حدث فى (فيلادلفيا) الأمريكية ، عام ١٩٤٣م ، ولكنها
تجربة مخيفة بالتأكيد ، فالسفن المخفية ، قد لا تبدو واضحة
للأعين ، ولكنها ليست كذلك بالنسبة لأجهزة الرادار .. الأمر
الوحيد ، الذى ربما تشترك فيه التجريبتان ، هو أن هذه السفينة
خالية تماما من البشر ، الذين مازالوا لا يحتملون التواجد داخل
مجالات كهرومغناطيسية قوية .

غمغم (مدوح) ، وهو يزيح قدح الشاي بعيداً ، فى توتر ملحوظ :

- رياه ! ما الذى نواجهه بالضبط ؟!

هزّ (رافت) رأسه ، وقال ، وهو يعود ببصره إلى السفينة :

- اتعشّم أن يحمل إلينا رجال المعمل الجنائى أى د ...

بتر عبارته بغتة ، واتعقد حاجباه فى شدة ، وعلى نحو جعل (مدوح) يلتفت إليه ، متسائلاً فى توتر شديد :

- ماذا حدث ؟!

لم يجب (رافت) تساؤله ، فتدفع نحو النافذة بوجهه ، وموجة التوتر تنتقل عبر أطرافه فى سرعة مخيفة ، ولكنه لم يكد يلقى نظرة على السفينة السوداء المجهولة ، التى تضاعف سوادها مع مغيب الشمس ، حتى تحوّل التوتر إلى موجة ارتجافية عذبة ، شملت كيانه كله ، من قمة رأسه ، حتى أخمص قدميه ، ومن أطراف جلده ، حتى نخاع عظامه ، وعيناه تتسعان إلى أقصىهما ، وعقله يكاد يثب خارج مجتمعه ..

فأعلى سارية السفينة ، كان ذلك العلم الذهبى يتألق ، على نحو مذهش ، وفى إيقاع منتظم هادئ ، كما لو أنه يرسل رسالة ما ..

ولكن هذا وحده لم يكن السبب ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

فهناك أيضاً ، فى قلب البحر ، كان يكمن سبب آخر ..

إيقاع مماثل ، متألّق بشدة ، يجيب الإيقاع الأوّل ، فى فترات
سكونه وصمته ..

وكان هذا يعنى أن اللغز لا يكمن فى السفينة وحدها ..

بل يكمن أيضاً هناك ..

فى قلب البحر ..

« لم نجد شيئاً ، فى قلب البحر .. »

تردّد النداء ، عبر جهاز الاتصال ، فى حجرة أمن الميناء
المؤقّتة ، فاتعّد حاجبا (ممدوح) ، فى توتر شديد ، فى حين بدا (
رافقت) هادئاً أكثر مما ينبغى ، وهو يقول :

- كنت أتوقّع هذا .

حنق فيه (ممدوح) فى دهشة ، وكاد يتفجر فى وجهه مستكراً ،
إلا أن (رافقت) مال بحركة مفاجئة ، ليضغط زر الاتصال ، قائلاً :

- من القيادة المؤقّتة إلى قيادة حرس السواحل .. هل فحصتم
المنطقة كلها جيّداً ؟!

مضت لحظة من الصمت ، بدت للعديد (ممدوح) أشبه بدهر كامل ،

قلب البحر

قبل أن ينبعث صوت قائد حرس السواحل ، عبر جهاز الاتصال ، وهو يقول ، فى توتر حملته كلماته فى وضوح :

- نعم .. فحصنا المنطقة بمنتهى الدقة ، وحددنا مثلكم موضع اتبعات ذلك البريق العجيب ، ولكننا ، عندما وصلنا إليه ، لم نجد أى شىء على الإطلاق .

سأله (رأفت) فى اهتمام :

- وماذا عن القوات البحرية ؟!

أجابه قائد حرس السواحل بنفس التوتر :

- لقد أرسلوا لنشيين **وغواصة** ، ولم يعثروا على أى شىء ، لاعلى سطح البحر ، أو حتى فى أعماق أعماقه .

لم يستطع (مدوح) الاحتمال ، عند هذه النقطة ، فهتف فى حدة :

- ما الذى يمكن أن يعنيه هذا بالضبط ؟!

أشار إليه (رأفت) إشارة صارمة ، قبل أن يقول لقائد حرس السواحل ، عبر جهاز الاتصال :

- واصلوا المحاولة ، لنصف ساعة أخرى ، ثم أبلغونى مرة ثانية بالنتائج .

أنهى الاتصال ، وهو يعقد حاجبيه ، فى تفكير عميق ، فكرر (مدوح) هتافه ، فى حدة أكثر :

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

- ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

هز (رأفت) رأسه نفياً فى بطنه ، وهو يتجه نحو النافذة ، ويتطلع مرة أخرى إلى تلك السفينة ، وعلمها الذى توقف عن التلألؤ ، ثم مد بصره بعيداً إلى البحر ، مغمغماً :

- لاشك فى أننا أمام لغز ضخم .. لغز غامض رهيب .

وصمت لحظة أخرى ، تابع خلالها أضواء مصابيح رجال المعمل الجنائى ، الذين ما زالوا يواصلون عملهم على سطح السفينة ، قبل أن يشير بيده ، متابعاً :

- لغز يمتد من تلك السفينة ، الرابضة هنا ، إلى عمق البحر .

مط (معدوح) شففيه ، ممتعاً :

- أنا أكره الألفاظ ..

صمت (رأفت) ، بضع لحظات أخرى ، قبل أن يقول فى صرامة :

- عمل الشرطة لا يناسبك إذن .

ارتفع حاجبا (معدوح) ، فى دهشة مستنكرة ، ثم عادا ينقدران فى غضب ، وهو يقول :

- كونك رجل مخابرات ، لا يبيح لك إهانة الآخرين ، على هذا

النحو .

قلب البحر

عقد (رأفت) حاجبيه ، وبدأ شاردًا ، وهو يواصل مراقبة السفينة السوداء الغامضة ، متممًا :

- لم تكن إهانة .

أراد (ممدوح) أن يسأله في غضب ، عما يعنيه هذا بالضبط ، إلا أن (رأفت) اعتدل فجأة ، وقال في اهتمام :

- لقد أنهوا عملهم .

كان الجواب واضحًا للغاية ، وعلى الرغم من هذا ، فقد سأله (ممدوح) في توتر :

- من هم ؟!

اندفع (رأفت) نحو باب الحجرة ، وهو يقول :

- رجال المعمل الجنائي .

اندفع (ممدوح) خلفه ، هاتفًا :

- إلى أين تذهب ؟! المفترض أن ننتظر التقرير الرسمي .

هتف (رأفت) ، وهو يثب درجات السلم ، على نحو يعن لهفته ، التي أخفاها صوته ولامحه :

- لن نفعل .. السلطة التي منحني إياها سيادة الرئيس ، تبيح لي معرفة النتائج فورًا .

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠) روايات

سرت قشعريرة باردة ، فى جسد (ممدوح) ، عندما أتى (رافقت)
على ذكر مؤسسة الرئاسة ، ووجد نفسه يغمغم فى عصبية :

- الأمر إن خطر .. خطير بحق .

لم تمض دقيقة واحدة ، على غمغمة هذه ، حتى كان يقف مع
رجل المخابرات ، أمام مسئول المعمل الجنائى ، على مسافة خمسة
أمتار فحسب من السفينة المجهولة ، وهذا الأخير يقول ، فى توتر
بدا وكأن عدواه تنتقل بسرعة إلى الجميع .

- لم نعر على أية علامات ظاهرة .

هتف (ممدوح) بالعبارة التى اعتادها أماته ، من كثرة
مارددها ، فى الآونة الأخيرة :

- ما الذى يعنيه هذا ؟!

قلب مسئول المعمل الجنائى كفيه ، وهو يقول ، حيرة امتزجت
بتوتره :

- يعنى أنه لا يوجد شيء واضح .. لا بصمات ، أو آثار أقدام ،
أو بقايا طعام ، أو شراب ، أو حتى قطرة دم واحدة .

ثم انعقد حاجباه ، من شدة توتره ، وهو يضيف :

- باختصار لا يوجد دليل واحد على أن أى كائن حى ، حتى
الفران ، قد وطأ هذه السفينة بقدميه .

قال (ممدوح) فى عصبية :

- وماذا عنا ؟! لقد صعدنا ، رجل المخابرات وأنا إلى سطح هذه السفينة ، و

قاطعهُ مسئول المعمل الجنائى فى حدة :

- حتى هذا ، لم نَعثر على أثر واحد يثبتهُ .

انعقد حاجبا (رافقت) فى شدة ، عند هذه النقطة ، فى حين اتسعت عينا (ممدوح) بمنتهى الدهشة ، وهو يهتف :

- ماذا تعنى بهذا القول ؟! لقد صعدنا إلى سطح تلك السفينة بالفعل ، ومن المستحيل أن **نفتش** كل جزء منها ، دون أن نترك خلفنا أدنى أثر !

قال مسئول المعمل الجنائى ، فى حدة أكثر :

- ولكن هذا ما حدث !! صحيح أنه يخالف كل القواعد العلمية فى عالمنا هذا ، ولكنه حدث ، وما زال يحدث .. حتى نحن لم نترك خلفنا أدنى أثر ، خلال فحصنا لهذه السفينة المخيفة .. لم نترك خلفنا شيئا ، وكأننا مجرد أشياء على سطحها .

ازداد انعقاد حاجبى (رافقت) ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فى حين هتف (ممدوح) مستكبرا ومتوترا :

- مستحيل !

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

قال مسئول المعمل الجنائى فى سرعة :

- ولكنه حدث .. شئنا أم أبينا ..

ثم التفت إلى جسم السفينة ، الذى بدا هائلاً من موقعهم هذا ،
وأشار إليها بسيّابة مرتجفة ، مستطرداً :

- هذه السفينة ليست من عالمنا .. أستطيع أن أجزم بهذا ، ولكننى
عاجز عن كتابته فى تقرير رسمى ، وإلا فسيتهموننى بالجنون
رسمياً ، أو

أمسك (رافت) بكتفه بفتة ، على نحو التقض له جسد الرجل
بمنتهى العنف ، واستدار إليه بمنتهى الحدة والتحفُّز ، فقال رجل
المخابرات فى صرامة ، حطمت هدوءه المستفز :

- أريد عينات من جسم السفينة ، وطلاتها ، وقماش ذلك العلم
العجيب ، الذى يرفرف أعلى الصارى الرئيسى بها ، و

قاطعه مسئول المعمل الجنائى ، فى عصبية بلغت أوجها :

- رويدك يا هذا .. ماتطلبه ربما يبدو لك أشبه بإجراء تقليدى
بسيط ، ولكن الواقع أنه مستحيل !

هتف له (رافت) فى صرامة :

- مستحيل .. ولماذا ؟؟؟

أجابه مسئول المعمل ، وقد امتزجت عصبية برنة يأس وإحباط عجيبة :

- لأن كل وسائلنا المعروفة ، والمتطورة أيضا ، لم تتجح في الحصول على عينة واحدة من جسم هذه السفينة لاشيء نعرفه ، قادر على خدش أى شيء فيها ، حتى المستائر القماشية .. أو النسي تبدو قماشية .. بل وحتى الخرائط الورقية في حجرة القبطان ، وقمرة المهندسين ..

تضاعفت دهشة (ممدوح) هذه المرة ، حتى بلغت ذروة ، لم تبلغها قط في حياته كلها ، في حين بدا (رأفت) صارما متوترا ، على نحو ربما لم يحدث أبدا ، في حياته بأكملها ، ومسئول المعمل يضيف ، في لهجة رجل بلغ منه اليأس مبلغه :

- باختصار ووضوح أيها السادة .. نحن امام سفينة سوبر سفينة خارقة ، لانعلم من أين أنت ، ولاحتي لماذا أنت إلى عالمنا هذا .

كان قوله وحده يكفي ؛ لتفجير فتيلة من الذهول والرعب ، في قلوب سكان مدينة ضخمة بأكملها ، ولكن يبدو أن البحر ، الممتد امامهم بلا حدود ، قد أبى أن يكتفى بهذا ، فلم يكد مسئول المعمل الجنائى يتم قوله ، حتى راحت بقعة منه تتألق فجأة ، بضوء فسفوري أخضر ..

روايات مصرية تلجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

وفي هذه المرة أيضًا ، تجاوب العلم الغريب أعلى السفينة ، مع
ذلك التآلق البحري العجيب ..
وكان هذا كافيًا ، ليبلغ الذهول والرعب والحيرة أقصى حد
يمكن بلوغه ، في كائن حي ..
على الإطلاق .



٣ - كل الغموض ..

هبط الظلام ، ليغمر منطقة الميناء كلها ، ويطغى على المصباح ،
التي بدا ضوءها باهتاً واهياً ، مع الضباب الذى راح ينتشر ، على
نحو يوحى بأن الصباح سيحمل موجة حارة عنيفة ..

ولفترة ثم يدر مقدارها بالضبط ، وقف العميد (ممدوح) ، على
رصيف الميناء ، يتطلع فى صمت إلى تلك السفينة السوداء الرهيبة ،
التي لم تبدأ إجراءات إعادتها إلى البحر بعد ، انتظاراً لانتها
تحقيقات الأمن ..

ثم فجأة ، قرّر أن يذهب إليها ..

أن يعتلى متنها ، ويسير أغوارها ، ويتحدّى ذلك الغموض
المستفز ، الذى يحيط بكل ما يتعلق بها ..

جرفه الحماس للفكرة ، فلم يدر حتى كيف فعلها ، وإنما وجد
نفسه فجأة على سطحها الواسع ، النظيف ، اللامع ، الذى يوحى
بأن أحداً لم يمسه قط ..

حتى رجال المعمل الجنائى ..

ومرة أخرى ، سرى فى جسده ذلك الشعور المركب ، الذى
يجمع بين التوتر ، والرغبة ، والدهشة ، والحيرة ..
والخوف أيضاً ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

فالسفينة ، على الرغم من صمتها وسكونها ، كانت تحمل في كل ركن منها شيئاً ما ، لا يمكن وصفه ..

شيئاً يثبت في نفسك ذلك المزيج الرهيب ، من المشاعر والانفعالات ..

أضف إلى هذا رائحة خاصة ، مخيفة للغاية ..

رائحة الموت ..

لو أن له رائحة ..

ولو هلة ما ، بدا له أنه داخل قبر هائل ..

قبر مائي متحرك ..

ومن أعماق أعماقه ، تصاعد ذلك الشعور ، وتضاعف ، وراح يرسم من حوله خيالات وظلال رهبة ..

خيل إليه أن السفينة تموج بالأنباح ..

أشباح بخارة ، وركاب ، ومهندسين ، وقبطان ..

خيل إليه أن نوعاً من الحياة قد دب فيها ، وسرى في كل شبر منها ، حتى إنه كاد يسمع نبضات قلبها ..

قلب السفينة ..

قلب البحر

وفي توتر ، ماله من مثيل ، راح العميد (ممدوح) يتجوّل في
السفينة الغامضة ..

ويتجوّل ..

ويتجوّل ..

وفي كل متر يقطعه ، كان ذلك الشعور العجيب يتعاظم في
أعماقه أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

هذه السفينة حية ..

إنه يسمع أنفاسها ..

يشعر بنبضات قلبها ..

يدرك مشاعرها ..

وأحاسيسها ..

و ...

ماذا أصابه ؟

كيف اقتنع بمثل هذه الفكرة ؟

كيف ؟

كيف ؟

روايات مصرية للجبب .. (كوكتيل ٢٠٠٠) (٢)

كان عقله يستنكر الفكرة ، التي أمتلأ بها كيانه ، ولكن أعصى
أعماق مشاعره كانت تتجاوب معها بشدة ..

بمنتهى الشدة ..

بل بافتتاع أقرب إلى اليقين ..

يقين من أنه يسمع نبضات قلب السفينة ..

يسمعها بكل وضوح ..

ومع ذلك اليقين المفاجئ ، توقف دفعة واحدة ، وبدأ يتراجع ..

ويتراجع ..

ويتراجع ..

وبكل مشاعره ، تعنى لو أن (رأفت) يصاحبه الآن ..

يواجه معه تلك الأحاسيس العجيبة ..

الرهية ..

المخيفة ..

ولأنه يقف وحده تمامًا ، فقد قرّر أن يغادر سطح هذه السفينة
الغامضة المجهولة ..

وبأقصى سرعة ممكنة ..

قلب البحر

ومع قراره ، استدار العميد (ممدوح) ؛ ليغادر السفينة ، و...
وفجأة ، تجمّد في مكانه ..

فأمامه مباشرة ، وعلى مائدة صغيرة تبرز من جدار القمرة
المعنى ، كانت هناك منفضة سجاير ، استقرّت فيها سيجارة ..
سيجارة اشتعلت قمّتها ، وتصاعد منها الدخان ، ليرسم منحنيات
متراقصة ، في هواء القمرة ..

وبكل ذهول ورعب الدنيا ، حدّق العميد (ممدوح) في تلك
السيجارة ، وكاد يتجمّد في مكانه تمامًا ، لولا تلك الأصوات
المتداخلة ، التي اتبعثت من خلفه بقتة ، والتي أجبرته على أن
يلتفت إليها ، و ...

ووثب قلبه من بين ضلوعه ..

لم يرتجف أو ينتفض فحسب ..

بل وثب من بين ضلوعه وثبًا ..

فهناك ، في تلك القمرة ، كانت الحركة في كل مكان ..

عدد من البحّارة ، وضابط أو ضابطتين ، في ثياب ذات ألوان
ذهبية عجيبة ، يمارسون حياتهم العادية ، كما يفعل أي بحارة ،
في أوقات راحتهم ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكبيل ٢٠٠٠)

كان بعضهم يلعب الورق ، والبعض الآخر يقرأ الصحف والمجلات ،
ومجموعة تناقش أمراً ما في أحد الأركان ، في حين اكتلت مجموعة
أخرى بالاسترخاء ، ومشاهدة بعض الصور المتحركة في ركن
آخر ..

وكانت هناك أطباق طعام ، وأكواب شراب ، وأدخنة سجائر ،
وكل ما يرتبط بمثل هذه المواقف ..

ولم يكن هناك شخص واحد يوليه اهتماماً ، أو ينظر إليه ، أو يسأل
حقاً بوجوده ..

كان وكأنه ليس هناك ..
وكانه هو الشبح الوحيد ، وسط الأحياء ..

ثم فجأة ، وفي غمرة انفعاله ، الذي تجاوز ذروته ، شعر بيد
قوية تمسك كتفه من الخلف ، مع صوت عميق ، يقول :

- انعميد (مدوح) ..

وانتفض جسده بمنتهى العنف ، و

واستيقظ ..

استيقظ ليحدث في وجه رجل المخابرات ، الذي يسأله في قلق
واضح شديد :

- أكابوس هو ؟!

ولم يجب (ممدوح) مباشرة ..

لقد ظل يحدث في وجه (رأفت) لدقيقة كاملة ، ضاغت من قلب هذا الأخير ، وجعلته يكرر :

- هل تعاني من كابوس ثقيل ؟!

وهنا فقط ، التقط (ممدوح) أنفاسه ، واعتدل على ذلك المقعد الوثير ، الذي دفع النوم إلى جسده المرهق ، وسعل مرتين ، قبل أن يقول ، في شيء من العصبية :

- نعم كابوس رهيب .

اعتدل (رأفت) ، وتطلع إليه لحظة في صمت ، قبل أن يشير بإبهامه إلى النافذة خلف ظهره ، مغفماً :

- أراهن أنه يتعلق بهذه السفينة .

أوما (ممدوح) برأسه إيجاباً ، دون أن ينبس ببنت شفة ، ثم نهض من مقعده ، وجسده مازال يعاني من ارتجافة عصبية متواصلة ، واتجه نحو النافذة ، وتطلع إلى السفينة ، التي بدت مخيفة أكثر ، مع ظلام الليل ، والمصابيح المحيطة بها ، وغمم :

- هل سنبقى هنا إلى الأبد ؟!

أجابه (رأفت) في هدوء :

- أنا سابقى ، حتى يتم حل هذا اللغز ، أما أنت ، فيمكنك أن تعود إلى منزلك .. إنها الثالثة والنصف صباحاً ، ولديك زوجة وابن .. أليس كذلك ؟!

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

اتعقد حاجبا (معدوح) فى شدة ، وهو يقول فى ضيق :

- من الواضح أنك تعرف الكثير عنى وعن عائلتى .

قال (رأفت) ، بنفس الهدوء :

- لا تنس أن المعلومات مهنتى .

مطً (معدوح) شفتيه ، متممًا ، دون أن يزيله شعوره بالضيق :

- بالتأكيد ..

كان يشعر بسخط شديد ؛ لأن (رأفت) يعرف أسرارهِ العائلية ، على الرغم من ثقته فى أنه سيسعى حتمًا لمعرفة المثل عن (رأفت) ، لو انعكست الأدوار ..

أو حتى دون أن تنعكس ..

بل لقد راودته الفكرة الآن بالفعل ..

فكرة أن يسعى للبحث عن أية معلومات ممكنة ، عن رجل المخابرات هذا ..

لم يكن يدرى ما إذا كان هذا متاحًا أم لا ، مع المنصب شديد الحساسية ، الذى يحتله فى مؤسسة الرئاسة ، إلا أن الفكرة قد سيطرت على كيانهِ تمامًا ، وراحت تتعاظم ..

وتتعاظم ..

وتتعاظم ..

و ...

« أريد أن أفحص هذه السفينة مرة أخرى ، عن قرب .. »

قطع (رأفت) أفكاره بتلك العبارة ، فاستدار إليه في حدة ، لم يكن لها أى مبرر واضح ، وهو يقول :

- مرة أخرى ؟ ولماذا ؟!

تطلع إليه (رأفت) لحظة في صمت ، ثم أجاب :

- من المؤكد أن النظرة إلى الأمور ستختلف ، على ضوء المعطيات الجديدة ..

أطلق (مدوح) زفرة ملتبهة ، من أعماق أعماقه ، قبل أن يضغم :

- ربما .

كان يحاول عبثاً ، مقاومة تلك الرغبة العارمة ، التى تغلغلت فى كيانه ، إلا أن شيئاً ما فى خلايا مخه الرمادية ، حول تلك الرغبة إلى لهفة شديدة ، جعلته يضيف فى حزم :

- أريد مراجعة بعض الأمور على كمبيوتر أمن الميناء ، ثم أعود إليك ، لمناقشة الأمر كله .

سأله (رأفت) فى اهتمام :

- هل ستصحبنى إلى سطح السفينة عندئذ ؟!

أجابه (مدوح) ، وهو يندفع خارج الحجرة :

- ربما .

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

ظلّ (رافت) صامتًا هادئًا ، بعد أن غادر (ممدوح) المكان ،
ثم لم يلبث أن استدار فى ببطء ، ليتطلّع إلى السفينة الغامضة ،
الرابضة على رصيف الميناء ، قبل أن يغمر :

- أيتها السفينة الرهيبة .. كم تثيرين فى نفوس الجميع من رهبة
وخوف وفلك !! أنت بالفعل لغز غامض ، فى أذهان وعقول الكل .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى حزم خافت :

- فيما عدا أنا .

كانت عيناه تتلّقان ، على نحو عجيب ، وهو يميل نحو زجاج النافذة
أكثر وأكثر ، دون أن تترك أنفاسه على الزجاج ، تلك الأثر الضبابي
الخفيف ، الذى تتركه أنفاس كل كائن حي ، مع استطراداته الصارمة :

- أنا وحدى ، أعلم ما الذى تحملينه إلى هذا العالم بالضبط ..

أعلمه تمام المعرفة ..

ومن حسن حظ العميد (ممدوح) أنه لم يكن داخل الحجرة ،
عندما نطق (رافت) هذا عبارته الأخيرة ، وإلا لتضاعف خوفه
ودهشته وارتياحه ألف ألف مرة ..

على الأقل ..

قلب البحر

نهض رجال التوتيجية الليلية ، فى حجرة متبعة الأمن ، فى ميناء (الإسكندرية) ، فى احترام تام ، عندما دلف العميد (ممدوح) إلى المكان ، وهو يقول فى حزم متوتر :

- هل جهاز الاستعلام الأمنى يعمل بكفاءة ؟!

كانت عقارب الساعة تتجاوز الثالثة والنصف صباحًا بثماني دقائق كاملة ، ولم تكن هناك أية سفن قد وصلت إلى الميناء ، إلا أن الرجال استجابوا لقائدهم فى سرعة ، وضغط لأحدهم أزرار الكمبيوتر ، متسائلًا :

- ما الاسم الذى ترغب فى الاستعلام عنه ، يا سيادة العميد ؟؟!

اتعقد حاجبا العميد (ممدوح) بشدة ، عندما ألقى رجل الشرطة السؤال ، وانتبه لأول مرة ، إلى أنه لا يعرف عن (رأفت) هذا سوى اسمه الأول ..

لا يعرف اسمه الكامل !!

أو رتبته !!

أو حتى جهاز المخابرات ، الذى ينتمى إليه !!

أهو جهاز المخابرات العامة ، أم المخابرات الحربية !

أم هو جهاز مخابرات خاص بمؤسسة الرئاسة مباشرة !!

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

الواقع أنه لا يعرف عنه أى شىء ..

على الإطلاق ..

وفى توتر ، تمتم :

— اسم رجل المخابرات الذى يتولى التحقيق ، فى لغز تلك السفينة السوداء المجهولة .

تسائل الضابط فى حذر :

— ألا تعرف اسمه الكامل يا سيادة العميد ؟! لقد قدّم لك هويته السرية بالتأكيد .. أليس كذلك ؟!

وازداد انعقاد حاجبى (ممدوح) ..

وتضاعف غضبه وسخطه ..

ألف مرة ..

كيف سلّم قياده إلى رجل ، لا يعرف عنه شيئاً ؟!

كيف لم يطلب الاطلاع على هويته ؟!

كيف ؟!

لقد وصل بعد حادث ارتطام تلك السفينة الرهيبة برصيف الميناء مباشرة ، فى سيارة رسمية ، وقدّم نفسه باعتباره أحد رجال المخابرات ..

ومع دقة الموقف وصعوبته ، كان من الطبيعي أن يصدق ..

ثم إنه كان على اتصال متواصل ، بكل الجهات الرسمية ..

القوات البحرية ..

حرس السواحل ..

وحتى مؤسسة الرئاسة نفسها ..

لا يمكن أن يكون محتالاً أو زائفاً إذن ..

مستحيل تماماً !

ولكن لماذا يشعر ، في أعماقه ، بأن هناك أمر يحيط بذلك الرجل ،
الذي يبدو له أكثر غموضاً من البحر نفسه ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

لم يقبل عقله بترديد السؤال طويلاً في أعماقه ، لذا فقد نقله
إلى مجموعة من الأوامر ، انطلقت من بين شفتيه في حزم
صارم ، وهو يقول لرجال أمن الميناء :

- أريد معرفة كيفية وصول خبر ارتطام السفينة برصيف الميناء ،
إلى أية جهة رسمية ، بهذه السرعة التي تسمح بوصول رجل
المخابرات ، بعد أقل من ثلث الساعة ، إلى رصيف الميناء ..
ابحثوا عن منح سيارته تصريحاً بالدخول ، دون إبلاغ مكتب
الأمن .. أريد مراجعة أوراقه ، وهويته ، و

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

قاطعته أحد ضباط الشرطة فى توتر :

- سيادة العميد .. لا أحد منا يملك مطالبتته بإبراز هويته ، وهو يتعامل معك شخصيًا .

قال (معدوح) فى صرامة عصبية :

- سأقولى أنا هذا الجزء ، وعنيكم أنتم القيام بالباقي .. هل تفهمون ؟!

أدى الجميع التحية العسكرية ، وهو يغادر المكان بنفس الحدة ، التى دلف بها إليه ، واندفع عائدًا إلى رصيف الميناء ، وهو يقول لنفسه :

- فليكن يارجل المخابرات .. ما دمت تعلم عنى الكثير ، فمن حقى أيضًا أن أعلم عنك كل شيء ..

بدا صارمًا حازمًا ، وهو يصل إلى تلك الحجرة ، التى ترك فيها (رأفت) ، ولكنه لم يكد يدلف إليها ، حتى عاد حاجباه ينعقدان فى توتر ، قبل أن يهتف فى الجندى الذى يقف عند الباب :

- أين ذهب السيد (رأفت) ؟!

بدا الجندى شديد التوتر ، وهو يشير بسبابته المرتجفة إشارة مبهمه ، مجيبًا :

- إلى هناك ؟!

سأله (ممدوح) في حدة :

- إلى أين ؟

أجابه الرجل ، والكلمات تنافس ارتجافه سبابته ، وتتفوق عليها
أيضاً :

- إلى تلك السفينة .

استدار (ممدوح) في حركة حادة إلى النافذة ، قبل أن يندفع
مغادراً الحجرة ، وهو يهتف في حلق :

- ألم يستطع الانتظار ؟

لم تمض دقائق ثلاث ، على قوله هذا ، حتى كان يعتلى ظهر
السفينة بالفعل ، وهو يقول لرجل المخابرات في حدة :

- كان ينبغي أن تنتظر عودتي ؛ لنناقش الأمر كما اتفقنا قبيل
انصرافي .

أجابه (رأفت) في هدوء مستقر ، وهو يخرج مصباحه اليدوي
الصغير من جيبه ، ويشعله ، قائلاً :

- لم أصل إلى ما وصلت إليه ، لأنني ألتزم دوماً بما ينبغي .

سأله (ممدوح) في صرامة ، وهو يسير إلى جواره ، على
سطح السفينة :

- وما الذي وصلت إليه بالضبط ؟

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

رمقه (رافت) بنظرة خاوية ، قبل أن يتجه إلى قلب السفينة ،
قالاً في هدوء :

- أما زال اهتمام ابنك الزائد بالعلوم يزعجك ؛ لأنك ترغب بشدة في
أن يلتحق بكلية الشرطة ، ليصبح مثل أبيه وجده في المستقبل ؟!

قال (ممدوح) في حدة :

- لو أن هذه محاولة منك ، لترييني أن لديك معلومات غريبة
عنى وعن حياتى الأسرية ، فهذه سخافة كبيرة ، لا تليق بموقف
كهذا ، أما لو أنها محاولة للفرار من إجابة السؤال ، فهي محاولة
فاشلة ، لأننى أسألك بصفة رسمية ، وليس بصفة ودية .

استدار إليه (رافت) فى بطء ، وسأله فى هدوء عجيب :

- بصفة رسمية ؟!

أجابه (ممدوح) فى حدة :

- نعم .. بصفة رسمية .. أريد رؤية أوراقك كلها ، وما ثبت
انتمالك إلى جهاز المخابرات .. وتحديد هويتك ، وهوية جهاز
المخابرات نفسه ، و

قاطعه (رافت) بإشارة صارمة مباغثة من يده ، قبل أن يسأله ،
فى اهتمام شديد :

- هل تسمع ما أسمعه ؟!

قلب البحر

ارتبك (ممدوح) لحظة ، ثم تساعل في توتر :

- وما الذى تسمعه ؟!

هز (رافت) رأسه ، قائلاً :

- يلوح لى أننى أسمع صوت أنفاس تتردد .

هتف (ممدوح) ، وعقله يستعيد ذكرى ذلك الكابوس الرهيب :

- صوت أنفاس تتردد ؟!

اندفع (رافت) نحو قمرة قريبة من السطح ، وهو يقول :

- نعم .. يبدو لى أننى أسمع صوت أنفاس ، وأشعر بتبضعات

قلب ، كما لو أن هذه السفينة ..

قاطعه (ممدوح) ، وهو يهتف :

- حية .. أليس كذلك ؟

توقّف (رافت) لحظة أمام تلك القمرة ، مجيباً :

- بالضبط .

ثم اندفع داخلها ، وكأنه يتوقّع رؤية شيء ما ..

أما (ممدوح) ، فقد تجمّد فى مكانه بضع لحظات ، وهو يستعيد

أدق تفاصيل ذلك الكابوس الرهيب ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكبيل ٢٠٠٠)

صوت الأنفاس ..

نبضات القلب ..

ودخان السيجارة ..

والبحارة ..

والضباط ..

والملايس البحرية العجيبة ..

استعاد كل هذا ، قبل أن ينتفض جسده فى عنف ، وكأنما
يستيقظ من ذلك الكابوس مرة أخرى ، ويهتف فى عصبية :
- انتظرنى -

قاوم ذلك التوتر الشديد فى أعماقه ، وهو يتجه نحو تلك القمرة
بدوره ..

كان الأمر داخلها واضحاً للغاية ..

الأنفاس مسموعة فى وضوح ..

نبضات القلب ترزدها الجدران المعدنية ..

وتلك الراحة الرهيبة ..

رائحة الموت ..

قلب البحر

وفى توتر ، أدار عينيه فيما حوله ، ثم قال فى عصبية :

- دعنا نغادر هذا المكان .

أجابه (رأفت) فى صرامة :

- ليس بعد .

استدار (ممدوح) فى حدة ، وهو يقول :

- فلنبق أنت إذن ، أما أنا ، فسأنصرف من هنا ، و

تجمدت الكلمات فى حلقه ، وتجمدت معها كل ذرة من كيانه ،
وهو يحدق فى تلك المنفضة على العائدة الصغيرة ، وفى السجارة
الموضوعة فيها ، والتي تتصاعد منها خيوط الدخان المتراقصة ..
ومن خلفه ، اتبعثت فجأة تلك الأصوات المتداخلة ..

واتسعت عينا (ممدوح) إلى أقصاهما ، وتجمدت الدماء كلها
فى عروقه ..

تجمدت تماماً ..

٤ - ظهور واختفاء ..

تراجع الضابط ، المسئول عن الاستعلام الأمنى ، فى توتر ملحوظ ، وهو يراجع المعلومات ، التى حصل عليها رجاله ، وراح يحك ذقنه فى عصبية واضحة ، قبل أن يغمغم :

- مستحيل ! لا يمكن أن يكون هذا ما حدث .. إنها كارثة ..

كارثة أمنية على كل المستويات .

سأله زميله ، فى قلق شديد :

- ماذا حدث ؟!

أجابه الضابط المسئول فى عصبية :

وفقاً لبيانات البوابات ، ولتقارير شرطة الميناء ، والجمارك ، وكل الجهات المسئولة ، لم يحصل رجل المخابرات على أية تصاريح ، للدخول بسيارته إلى رصيف الميناء !!

ثم التفت إلى زميله ، مستطرداً فى توتر بالغ :

- بل إنه لم يعبر حتى أية بوابة ، من البوابات المحيطة بالميناء .

انتقلت عصبية إلى زميله ، الذى هتف :

- ولكن هذا مستحيل ! كيف وصل إلى رصيف الميناء إذن ؟!

هتف المسئول :

- هذا هو السؤال !

ثم استدار بجسده كله إلى زميله ، متابعاً في صرامة عصبية :

- اسمع .. الأمر على هذا النحو ، يحتم الاتصال بكل الأجهزة الأمنية الرسمية ، لنعلم ما الذى يحدث هنا بالضبط .. اتصل بالمخابرات العامة ، والمخابرات الحربية ، والقيادة المشتركة للجيش ، وحرس السواحل .. وحتى رئاسة الجمهورية ، لو اقتضى الأمر .

اتسعت عينا زميله ، وهو يهتف :

- هل تعرف كم الساعة الآن ؟!

صاح به المسئول ، وهو ينهض من مقعده بحركة حادة :

ما يحدث هنا يتجاوز كل المحاذير ، وسنوقظ الدنيا كلها ، لو حتمت علينا إجراءات الأمن أن نفعل ، لأنه لو تجاوزت الأمور الحد الأحمر ، فلن يرحمنا أحد ، وسنتحمل وحدنا مسئولية أى خلل أمني يحدث .. حتى سيادة العميد (مدوح) سيتهمنا بـ ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يتلفت حوله ، هاتفاً :

- أين سيادة العميد (مدوح) ؟!

روايات مصرية للجيب .. (كوكبيل ٢٠٠٠)

أجابه زميله ، وقد بلغ توتره ذروته بدوره :

- سيادة العميد هناك ، مع رجل المخابرات ..

صاح به المسئول فى حدة :

- أين ؟

أشار زميله بسبّابته إلى النافذة ، التى تطل على رصيف الميناء مباشرة ، وهو يجيب فى توتر :

- على متن تلك السفينة .

استدار الضابط المسئول ، بحركة غريزية تلقائية ، نحو النافذة ، وهو يهتف ، بلهجة بدت مستفكرة للغاية :

- متن ماذا ؟

ودون أن ينتظر جوابًا ، اندفع نحو النافذة ، وأزاح (ضلفتها) ،

و ...

واتسعت عيناه عن آخرهما ، وقلبه يخفق بقوة ..

بمنتهى القوة ..

فما يحدث هناك ، عند رصيف الميناء ، كان أمرًا رهيبًا ..

رهيبًا بحق ..

قلب البحر

كل شيء كان أشبه بذلك الكابوس بالضبط ..

كل شيء ..

فهناك ، في تلك القمرة ، كانت الحركة في كل مكان ..

عدد من البحارة ، وضابط أو ضابطتين ، في ثياب ذات ألوان ذهبية عجيبة ، يمارسون حياتهم العلية ، كما يفعل البحارة ، في لوقت راحتهم ..

كان بعضهم يلعب الورق ، والبعض الآخر يقرأ الصحف والمجلات ، ومجموعة تتلصص أمراً ما ، في أحد الأركان ، في حين اكتفت مجموعة أخرى بالاسترخاء ، ومشاهدة بعض الصور المتحركة ، في ركن آخر ..

وكانت هناك أطباق طعام ، وأكواب شراب ، وأخنة سجائر ، وكل ما يتناسب مع المكان والموقف ..

وكما حدث في الكابوس تماماً ، لم يكن هناك شخص واحد يوليه اهتماماً ، أو ينظر إليه ، أو حتى يبال بوجوده ..

تماماً كما لو كان مجرد شبح ..

« الآن .. » ..

انطلق الهاتف من خلفه ، حاملاً صوت (رأفت) ، فانتفض جسده بمنتهى العنف ، وتمنى لو يستيقظ مرة أخرى ؛ ليجد نفسه خارج كابوس جديد ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

ولكن هذا لم يحدث ..

ما حدث فى الواقع ، هو أن (رأفت) قد جذبته من معصمه فى قوة ، إلى خارج القمرة ، وهو يقول :
- إنها اللحظة المناسبة .

تبعه (ممدوح) عبر ممرات السفينة ، التى اكتظت بالبحارة والركاب ، وحتى عمال النظافة ، وهو يهتف :
- اللحظة المناسبة لماذا ؟!

أجابه (رأفت) فى حزم :
- لتفادى الكارثة .

صاح (ممدوح) ، وقد بلغ ذهوله واستسلامه مبلغهما :
- أية كارثة ؟!

لم يجب (رأفت) سؤاله هذه المرة ، ولكنه استمر يجذبه من معصمه ، ويندفع به وسط عشرات من رواد السفينة ، الذين يرتدون كلهم تلك الثياب الذهبية العجيبة ، ويتجاهلونهما تمامًا ، كما لو أنهم لا يشعرون حتى بوجودهما ..

ولفترة لم يدر زمنها قط ، أصبح (ممدوح) كالمسحور ، مسلوب الإرادة ، يتبع (رأفت) بنفس السرعة ، إلى سطح السفينة ، وعيناه الأذهلتان ترصدان ما حوله ، دون أدنى انفعال ..

قلب البحر

نقد دبت الحياة فجأة ، فى كل مكان فى السفينة ..

البحارة يمارسون أعمالهم فى نشاط ..

الركاب يتجولون فى استمتاع وهدوء ..

الضباط يقودون العمل ..

والقبطان فى قمرة القيادة ..

تلك القمرة التى انتهى إليها اندفاع (رافت) و(ممدوح) ،
وقال الأول ، وهو يتجه نحو القبطان مباشرة :

- الآن فقط يمكننا أن نخرج هذه السفينة من هنا .

ولم يسأله (ممدوح) عما يعنيه ..

لم يحاول أن يسأله ، حتى عندما رآه يدفع القبطان جانبًا ، ثم
يتولى دفعة القيادة فى حزم ..

وبثقة لا مثيل لها ، وهدوء أسطورى مذهل ، بدأ (رافت) يلقي
أوامره ، من قمرة القبطان ، إلى بحارة السفينة ، فى منطقة
المحركات ، بلغة عجيبة ..

لغة لم يسمعها (ممدوح) فى حياته قط ..

ولكن من الواضح أنها قد أسفرت عن أمر واضح جلى ..

لقد ارتجفت السفينة السوداء الرهيبة فى عنف ..

ثم بدأت تتراجع ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

وعلى عكس كل القواعد البحرية المعروفة ، بدأت السفينة
تعتدل ، ثم تنسحب من رصيف الميناء في ببطء ، وصفارة استعداد
قوية تنطلق منها ، معلنة بدء رحلة جديدة ..

وعلى رصيف الميناء ، سادت حالة رهيبية من الهرج والمرج ،
وانتشر الذعر والفزع ، على نحو لم يسبق له مثيل ، وهتف
مسئول الاستعلام الأمنى فى حدة :

مستحيل ! أوقفوا هذه السفينة ! أوقفوا هذه السفينة .. لاتسمحوا
لها بالتراجع ، على هذا النحو .

سأله زميله فى اتفعال :

وكيف نفعل بالله عليك ؟!

لم يدر مسئول الاستعلام بم يجيبه ، وقد تسعت عيناه عن آخرهما ،
وهو يحدق فى السفينة ، التى انسحبت مقدمتها بالكامل من
رصيف الميناء ، وعادت إلى البحر ، وبدأت تستعد للإقلاع إلى
جهة ما ..

فى قلب البحر ..

بحر الغموض ..

ثم فجأة ، امتلأت نفسه بمزيج من الغضب والثورة ، جعله
يهتف فى صرامة عصبية :

قلب البحر

- اتصلوا بكل أجهزة الأمن .. أبلغوا القوات البحرية ، وحرس السواحل ، برحيل تلك السفينة .. لا بد أن يمنعوا هروبها بأى ثمن ..

ثم صرخ ، بكل ما يلهب فى أعماقه من انفعالات :

- هل تفهمون .. بأى ثمن !

فى نفس اللحظة ، التى انطلقت فيها صرخته الأخيرة ، انتفض جسد العميد (ممدوح) فى عنف ، وكأنما يصحو من نوم مقتطيس عيق ، وهتف فى حدة عصبية :

- أية لغة تلك ، التى تحدثت بها ؟!

أجابه (رأفت) بنفس الهدوء ، وهو يواصل قيادة السفينة الغامضة :

- لغتهم .

هتف (ممدوح) :

- وكيف لك أن تعرف لغتهم ؟!

لم يكذ يلقى سؤاله ، حتى قفزت إلى ذهنه فجأة فكرة مخيفة ، جعلته يتراجع بحركة عنيفة ، وكأنما أصابته صاعقة ، وهو يقول :

- رباه ! ألنت منهم ؟!

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

هز (رافت) رأسه ، قائلاً :

- كلاً .. نست منهم بكل تأكيد .

سحب (مدوح) مسدسه من غمده ، وصوبه إليه فى عصبية ، وهو يهتف :

- بل أنت أحدهم .. هذا هو التفسير الوحيد لكل ما حدث ..

ثم يبال (رافت) كثيراً ، بالمسدس المصوب إليه ، وهو يقول ، بنفس الهدوء المستقر :

- أنت لا تدري شيئاً عن التفسير .

صاح (مدوح) ، وهو يلوح بمسدسه فى وجهه بغضب صارم :

- وهل تملك أنت التفسير أيها العبقري المتحذلق !؟

استدار إليه (رافت) فى بضع عجب ، وهو يواصل قيادة السفينة ، وأجاب بنفس الهدوء العجيب :

- بالطبع يا سيادة العميد .. أنا أملك التفسير .. وكل الأجوبة أيضاً .

اتسعت عينا (مدوح) عن آخرهما ، وهو يحدث فيه ذاهلاً ، وانخفضت فوهة مسدسه ، دون أن يدري ، وهو يغمغم :

- أنت !؟

أجابه (رافت) ، وهو يقود السفينة ، إلى قلب البحر :

- نعم .. أنا .

قلب البحر

سأله العميد (ممدوح) ذاهلاً :

- من أنت بالضبط ؟!

أشاح (رأفت) بوجهه عنه ، وهو يقول :

- السؤال الأكثر أهمية ، هو ما هذه السفينة بالضبط ؟! وكيف

أتت إلى هنا ، دون أن ترصدها أجهزة الرادار ، أو يراها رجال
البحرية المصرية ، أو خفر السواحل ؟!

كان هناك ألف ألف سؤال ، كلها تعربد في أعماق أعماق
(ممدوح) إلا أنه ، ومع ذهوله الشديد ، لم يملك سوى أنه يتسأل في
خفوت :

- نعم .. هذا هو السؤال .

صمت (رأفت) يضع لحظات ، قبل أن يقول :

- هل سمعت يوماً عن مثلث (برمودا) ؟!

أوماً (ممدوح) برأسه في بضع ، قبل أن يجيب في خفوت :

- بالطبع .. إنه مثلث وهمي ، يقع في غرب المحيط الأطلنطي ،
يمتد من (برمودا) شمالاً ، إلى (فلوريدا) جنوباً ، ويتجه شرقاً ، عبر
جزر (البهاما) وغرباً ، حتى خط طول ٥٤٠ ، ثم يعود إلى (برمودا) ،
ولقد نسجت حوله عشرات القصص الوهمية والأسطورية ، بسبب
الاختفاء الغامض لعدة سفن وطائرات في نطاقه^(*) .

(*) معلومة صحيحة وواقعية .

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

قال (رأفت) بهدونه العجيب :

- معلومات رائعة ، بالنسبة لرجل أمن ، يعن دوماً استيائه ،
من اهتمام ابنه الزائد بالعلوم .

قال (ممدوح) فى ضيق منعه ذهوله من يلوغ حد السخط :

- ابنى لاشأن نه بما نحن فيه .

قال (رأفت) فى بطء :

- أهذا ما تظنه ؟!

هزّ (ممدوح) رأسه بلامعنى ، قبل أن يقول ، وقد عاوده شيء
من عصبيته :

- أتريد أن تقول : إن هناك صلة ما ، بين مثلث (برمودا) فى
الأطلنطى ، وهذه السفينة ؟!

هزّ (رأفت) رأسه فى هدوء ، مجيباً :

- ليس على نحو مباشر .

وصمت لحظة ، تحبست خلالها أنفاس (ممدوح) ، وبنت له أشبه
بدهر كامل ، قبل أن يتابع بنفس الهدوء ، الذى يستفزه منذ البداية :

- عشرات النظريات العلمية ، حاولت شرح وتفسير تلك الاختفاءات
الغامضة ، التى حدثت عبر التاريخ ، فى مثلث (برمودا) ، وفى

مناطق أخرى من العالم ، دون أى سبب علمى أو منطقى معروف^(*) ، ومن بينها كانت نظرية ، بدت لكل مبالغة فى الخيال ، إلا أنها كانت تحمل التفسير الفعلى للأمر كله .

غشم (ممدوح) ، فى حالة من الانبهار المسحور ..

- أية نظرية ؟!

تجاهل (رأفت) سؤاله تمامًا ، وواصل قيادة السفينة ، إلى قلب البحر ، وهو يتابع فى آية ، وكلما يردُّ أمرًا يحفظه عن ظهر قلب :

- ثم ظهر عالم فذ ، عبقري .. فُلْتَة من فُلْتَات العلم والتاريخ ، أمكنه أن يدرس الظاهرة ، من منظور آخر تمامًا مدفوعًا بتأثره الشديد بحادثة اختفاء غامضة ، حدثت هنا فى (مصر) ، وقلبت حيلته كلها رأسًا على عقب فى صباح .

قال (ممدوح) ، وقد أدهشه ذلك الهدوء العجيب ، الذى ملاكياته :

- حادثة اختفاء غامضة ؟! لا توجد حادثة اختفاء غامضة ، فى تاريخ (مصر) كلها ، يمكن أن تتشابه مع ما حدث ويحدث ، فى مثلث (برمودا) .

(*) التاريخ يذكر عشرات الأحداث للاختفاءات الغامضة ، لأفراد ومعدات ، فى أماكن مختلفة ، وفى أثناء بعض الحروب ، وفى أماكن من البحر والمحيطات ، ولعل مثلث (برمودا) هو الأشهر فى هذا المضمّن ، لأن الاختفاءات قد تكررت فيه ، عبر حقبة طويلة من الزمان ، وارتبطت بأمور وأشياء مهمة جدًا .

مرة أخرى تجاهله (رأفت) تمامًا ، وهو يواصل بنفس الآلية :

.. لقد انتبه ذلك العالم الفذ ، إلى أن التاريخ لا يحوى حوادث اختفاء غامضة فحسب ، وإنما يحوى أيضًا حوادث ظهور غامضة ، لم تحظ أبدًا بالفكر نفسه من الاهتمام ، الذى حظيت به حوادث الاختفاء ، فهناك مثلاً تلك الواقعة ، التى حدثت فى أكتوبر ١٥٦٣م ، أمام القصر الرئيسى ، فى مدينة (مكسيكوسيتى) فى (المكسيك) ، عندما ظهر جندى غريب فجأة ، وسط الجنود وعمل القصر .. جندى يرتدى ثيابًا تختلف عن باقى الجنود ، ويحمل أسلحة تختلف أسلحتهم .. ولقد بدا ذلك الجندى مذعورًا ومرتبكًا ، عندما أخبرهم أنه كان ضمن حراس حاكم (ماتيلا) ، فى ذلك الصباح فحسب ، وأنه وجد نفسه فجأة فى هذا المكان ، الذى يبعد آلاف الكيلومترات عن المكان ، الذى استيقظ فيه ، منذ ساعة واحدة .. ولقد أخبر ذلك الجندى المسئولين فى (مكسيكوسيتى) أيضًا ، أن حاكم (ماتيلا) قد قُتل ، فى الليلة السابقة .. ولما كانت القصة عسيرة التصديق ، فقد تم إلقاء القبض على الجندى ، وسجنه فى قصر حاكم (مكسيكوسيتى) ، ولكن بعد شهرين من تلك الواقعة ، وصلت سفينة من (الفلبين) ، حاملة خبر مصرع حاكم (ماتيلا) ، فى نفس التوقيت ، وبنفس الوسيلة ، التى أعلنها ذلك الجندى (*) .

غمغم (ممدوح) مبهوراً :

- مستحيل !

ولكن (رأفت) تابع ، وكأنه لم يسمع تعليقه :

كل ما فعله المسئولون ، بناء على المعلومات الواردة من (الفلبين) ، هو أن أطلقوا سراح ذلك الجندي ، إلا أن قصته ظلت دوماً غامضة عجيبة ، ولم يصدقها أحد وإن سجلها أحد المسئولين ، في قصر حاكم (مكسيكوسيتي) ، من حسن الحظ .

بدا (ممدوح) أكثر انبهاراً ، وهو يغمغم ، وكأنما نسي ما يحدث حوله :

- أحدث هذا فعلاً ؟

لم يدر ماذا أصاب (رأفت) بالضبط ، فقد كان يواصل قيادة السفينة ، في آلية عجيبة ، وهو يتابع حديثه ، بدا أشبه بشريط مسجل متصل :

- هناك أيضاً قصة الطفلين ذوي البشرة الخضراء ، واللذين ظهرا فجأة ، في بلدة (باتجوس) في (اسبانيا) ، في أحد أيام أغسطس ١٨٨٧م ، من كهف في الجبل .. لقد ذهل الفلاحون لمرآهما ، وأمسكوا بهما ، وكان الطفلان مذعورين ، ولهما تلك البشرة الخضراء الداكنة ،

والعيون الليمونية ، ذات الطابع الأسوي ، ولقد حاول قاضي البلدة أن يغسل جلدهما ، متصوراً أنه نتاج صبغة ما ، ثم اكتشف كالجميع أن هذا هو لون بشرتهما العادى .. ولأن لغة الطفلين كانت عجيبة مثل ملابسهما ، فلم يفهما احد ، وظلا خمسة أيام دون طعام ، لأنهما رفضا تناول أى شىء ، حتى ضعفت صحتهما ، إلى أن انتبه البعض إلى اهتمامهما الشديد بحبوب الفاصوليا الخضراء .. ولقد لقي الطفل مصرعه بعد فترة قليلة ، فى حين بقيت الطفلة ، وعملت فى منزل القاضى ، وتعلمت بعض الإسبانية ، لتشرح أنها وشقيقها جاءا من عالم آخر ، يختلف عن عالمنا هذا تمام الاختلاف ، وأنهما لا يدريان كيف انتقلا إلى هنا .. ولقد عاشت الفتاة لخمس سنوات بعد ظهورها القامض ، ثم ماتت بدورها ، ولم يبق منها سوى ما سجله قاضى (باتجوس) فى مذكراته (*) .

هز (ممدوح) رأسه ، وهو يتعمم :

- عقلى يعجز عن تصديق كل هذا .

وهنا فقط ، استجاب (رأفت) لعبارته ، والتفت إليه ، قائلاً :

هنا تنأت أهمية العقول العبقريّة الفذة .. العقول القادرة على تجاوز حالة الانبهار وعدم التصديق ، والتعامل مع كل الوقائع من منطلق علمى ، بناء على نظرية علمية فلسفية ، تضعها خلايا أمخاخهم

قلب البحر

المتفوفة .. تمامًا مثل (ألبرت آينشتاين) ، ذلك العالم المدهش ، الذى قلب قوانين الفيزياء فى زمنه رأسًا على عقب .. لقد بدأ كل ما فعله . بأفكار علمية فلسفية ، اقتنع بها عقله ، فسعى لإثباتها ، عبر مجموعة من المعادلات الرياضية ، ليخرج لنا بنظرية النسبية ، التى ظلت مبهرة علميًا ، حتى زمن قريب .

هزّ (معدوح) رأسه ، وكأنما يعلن عجز عقله عن استيعاب كل هذا ، ثم رفع عينيه المحمرتين إلى (رأفت) متسائلًا :

- من أنت بالضبط !؟

لم يكد السؤال يفارق شفيته ، حتى اتبع صوت من خارج السفينة فجأة ، يقول صاحبه ، عبر مكبر قوى للغاية :

- من القوات البحرية إلى السفينة المجهولة .. توقفي فورًا ، وإلا فسنتطلق النار .. هذا إنذارنا الأول وسنتطلق النار عقب الإنذار الثانى مباشرة .

وانتفض جسد (معدوح) فى عنف ..

انتفض ، عندما أعاده ذلك الصوت إلى عالم الواقع دفعة واحدة ، اعتدل فى وقفته بحركة حادة ، وهو يرفع فوهة مسدسه فى حزم نحو (رأفت) ، صائحًا :

- ألم تسمع النداء !؟ أوقف السفينة فورًا .

روايات مصرية للجيب .. (كوكبتيل ٢٠٠٠)

أجابه (رأفت) بمنتهى الهدوء ، وكأنه لا يبالي بفوهة المسدس ،
المصوبة إلى رأسه ، ولا حتى بالمدمرة والنشآت البحرية التي
تلاحقه ، والتي لن تتردد لحظة واحدة في نسفه نسفاً ، لو أمرها :

- لو بقيت هذه السفينة هنا ، ستكون نهاية هذا العالم كله .

لم يدر (ممدوح) لماذا صدق عبارته المخيفة هذه على الفور
لم يدر لماذا خيل إليه أنه سمعها من قبل ..

أو أنه قد عاش اللحظة نفسها ، في زمن ما ..

زمن آخر ..

لم يدر شيئاً عن كل هذا ، إلا أنه كان يوافق ، أعصى أوصافه ،
أن بقاء هذه السفينة في العالم ، سيكون بداية الفناء ..

الفناء التام ..

وفي حالة عجيبة ، راح يدير عينيه فيما حوله ، وعشرات
المشاعر المتناقضة تعربد في أعماقه ..

كان البحارة والركاب يتحركون ، وكأنهم لا يشعرون قط بما يدور
حولهم ..

حتى قبطان السفينة ، الذي أزاحه (رأفت) عن الدفة ، بدا كأنه
غير مبال بما حدث ..

والمدمرة البحرية بدت واضحة ، على مرمى البصر ، على
الرغم من ظلام الليل ، وحولها لنشآت الصواريخ البحرية ..

قلب البحر

وبخبرته الأمنية ، كان يعلم أن المدمرة ستقفز وعيدها حتمًا ،
وستنسف السفينة نسفًا ، لو لم يستجب (رأفت) لأوامرها ..

لذا ، وبكل الحزم والصرامة ، عاد يلوح بمسدسه في وجه
(رأفت) ، صائحًا في صرامة :

- أوقف السفينة فورًا .

ولم يجب (رأفت) هذه المرة ..

لم يجب بحرف واحد ..

كل ما فعله هو أن تطلّع إلى الأمام ، في اهتمام وانتباه كاملين ،
نحو بقعة ما ، في قلب البحر ..

واتسعت عينتا (ممدوح) عن آخرهما ..

فهناك ، في تلك البقعة ، كانت هناك دائرة تألقت فجأة كما
لو أنها مصباح هائل ، نبت في قلب البحر ..

وكان هذا تطورًا مذهلاً وغير متوقع ..

على الإطلاق .

٥ - عالم آخر ..

بدا ضابط الشرطة ، المسئول عن الاستعلامات الأمنية ،
فى ميناء (الإسكندرية) ، شديد التوتر والارتباك ، وهو
يستقبل مندوب رئاسة الجمهورية ، الذى بادره قائلاً ، فى غضب
واضح :

- كيف يمكن أن يحدث هذا ، يا رجال أمن الميناء ؟! حادث بهذه
الخطورة ، يتم التعامل معه بكل هذا الاستهتار ، حتى إن أحداً
لا يحاول إبلاغ المسئولين بالأمر !! هذه جريمة .
أجابه الضابط فى توتر بالغ :

- لقد قمنا بواجبنا ياسيدى ، والاتصالات بيننا وبين قيادة القوات
البحرية ، وقيادة حرس السواحل ، لم تنقطع لحظة واحدة .
هتف مندوب الرئاسة فى حثي :

- وهذا ما يثير جنوننا أكثر وأكثر .. كيف تتولى القوات
البحرية ، مع قوات حرس السواحل أمراً كهذا ، دون إبلاغها به ؟!
كيف ؟! كيف ؟!

تهتد ضابط الشرطة فى عصبية ، وهو يقول :

- يمكنك أن تسألهم هذا ياسيدى .

قلب البحر

هتف مندوب الرئاسة في حدة :

- ومن قال إننى لم أفعل !؟

ثم تلاشت عصبية دفعة واحدة ، وبدأ يائسا حائرا ، على نحو
أثار دهشة ضابط الشرطة ، خاصة عندما جذب مندوب الرئاسة
مقعدا ، وأطلق من أعماق صدره زفرة ملتهبة بالمشاعر
والاحباطات ، وهو يجلس عليه ، مواصلا :

- ولكن الكل يؤكد أنه قد تلقى إرشادات رسمية ، من أجهزة
الأمن العليا ، ومن وزارة الدفاع مباشرة ، وأن كل الإشارات
والأوامر كانت ملحقة بالشفرات السرية الخاصة ، وبأكواد
الطوارئ القصوى ، التى لا يعرفها سوى القادة ، وسيادة الرئيس
شخصيا ، حتى إن أحدهم لم تراوده ذرة واحدة من الشك ، تجاه
ما تلقاه من أوامر وتعليمات .

غمغم ضابط الشرطة :

هذا مستحيل ! من الناحية الأمنية على الأقل !

أشار إليه مندوب الرئاسة ، فى انفعال جارف ، وهو يهتف :
- بالضبط .

ثم هب من المقعد ، الذى لم يكتمل حتى جلوسه عليه ، وهو
يتابع فى عصبية يائسة :

- هذا ليس مستحيلًا من الناحية الأمنية والمنطقية فحسب ،
ولكن من الناحية التكنولوجية أيضًا ، فالاتصال بجهات كهذه ،
لا يمكن أن تتم من جهة بعيدة ، دون أن يتم رصد الاتصال ، على نحو
أو آخر ، ولكن هذا لم يحدث أبدًا ، مما يوحي بأننا أمام جهة
بالغة القوة ، تمتلك تكنولوجيا تفوق التكنولوجيا التي تستخدمها
مؤسسة الرئاسة نفسها ، لحماية أمنها واستقرارها ، وهي
بالمناسبة ، أعلى تكنولوجيا معروفة ، في يومنا هذا .. أو ...
بتر عبارته دفعة واحدة ، قبل أن يستطرد ، في صوت بدا مرتجفًا :

- أو أننا نواجه قوة هائلة ، لا قبل لنا بها .. قوة أتت من خارج
حدود فهمنا وإدراكنا ..
وصمت لحظة ، ثم أضاف :

- أو خارج حدود عالمنا .

سرت قشعريرة باردة ، في جسد الضابط ، مع سماعه العبارة
الأخيرة ، وغمغم في توتر شديد :

- أيعنى هذا أن السيد (رأفت) ليس ..

قاطعه مندوب الرئاسة في حزم :

- كل أجهزة المخابرات هنا ، تعمل بتكليف وأوامر مباشرة من
مؤسسة الرئاسة ، وما دمنا لم نعلم بما حدث ، فمن المحتم أن أى
جهاز مخابرات ، لم يرسل أحدًا ، و ...

قلب البحر

بتر عبارته مرة أخرى ، قبل أن يتساعل في انفعال :

- أين تلك السيارة ، التي وصل بها رجل المخابرات الزائف هذا إلى هنا ؟!

بدا الضابط وكأنه قد انتبه إلى هذا الأمر فجأة ، وهو يهتف :

- في الخارج .. ما زالت في الخارج .

سأله مندوب الرئاسة ، وهو يندفع إلى الخارج :

- هل تم فحصها ؟!

هتف الضابط ، وهو يتبعه إلى رصيف الميناء :

- لم يكن هناك داع لهذا .. أعني من الناحية الأمنية .

اندفع الاثنان نحو السيارة ، التي وصل بها (رأفت) ، إلى رصيف الميناء ، وقال مندوب الرئاسة ، وهو يلهث في انفعال :

- يالها من مفارقة !! هو يقوم باستدعاء رجال المعمل الجنائي ، لفحص السفينة المجهولة ، في حين لا يفكر شخص واحد في فحص سيادته .

همهم ضابط الشرطة بكلمات غير مفهومة ، وكأنما يحاول الدفاع عن موقف إدارة أمن الميناء ، ثم تساعل بصوت حماسي متوتر :

- هل أرسل في استدعاء رجال المعمل الجنائي ثانية ؟!

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

أجابه مندوب الرئاسة فى حزم :

- بالتأكيد .. نحتاج إلى معرفة كل ما يمكن معرفته ، عن ذلك الرجل ، وأى شىء يمكن أن نعثر عليه ، فى سيارته هذه ، سيقولنا حتماً إلى كشف جزء من الفوضى المحيط به .. أى شىء .. بصمة إصبع .. شعرة رأس ، أو حتى ..

قبل أن يتم عبارته ، انطلقت شهقة قوية من حلق ضابط شرطة أمن الميناء ، فرفع مندوب الرئاسة وجهه إليه بحركة حادة ، ثم لم يلبث أن أطلق بدوره شهقة قوية ، من أعماق أعماق صدره ، وكلاهما يحدق فى تلك البقعة المتألقة ، التى بدت أكبر حجماً ، وأكثر تألقاً هناك ..

فى قلب البحر ..

« أقفز .. »

نطق (رافت) الكلمة فى هدوء صارم وعلى نحو مباغت ، اقترن بظهور تلك الدائرة المتألقة ، فالتفت إليه (ممدوح) بحركة حادة ، مكرراً ب لهجة مستنكرة :

- أقفز !؟

قلب البحر

كرّر (رأفت) بنفس الهدوء العجيب ، الذى بدا مخيفاً للغاية ،
فى تلك اللحظة :

- افقر من السفينة ، قبل فوات الأوان .

حدّق (معدوح) فيه بذهول ، قبل أن يهتف فى غضب :

- أى أوان هذا ؟!

ما الذى يحدث بالضبط ؟!

اتجه (رأفت) بالسفينة نحو الدائرة المتألّقة مباشرة ، وهو يقول
بنفس الهدوء العجيب المستلّز :

- النظرية الوحيدة الصحيحة ، لتفسير كل حوادث الظهور والاختفاء
الغامضة ، كانت نظرية الأبعاد المتوازية ، والعوالم المتماثلة .

هتف (معدوح) فى دهشة :

- نظرية ماذا ؟!

ثم انتفض ، مستطرداً فى غضب :

- وما شأن هذا ، بما نحن فيه الآن ؟!

وكما حدث من قبل ، تجاهل (رأفت) سؤاله تماماً ، وتابع فى آليته :

- ولقد توصل ذلك العالم الغد ، الذى أخبرتك عنه ، إلى
هذه الحقيقة ، بعد عشرين عاماً من البحث والدراسة وثبت أننا
لسنا وحدنا فى الكون ، بل توجد حولنا عوالم أخرى ، وأبعاد متوازية ،

وكلها تدور معنا في فلك كونى واحد ، أو بمعنى أدق ، كلنا نحتل الفراغ الفضائى نفسه تقريباً ، ولكن ببذبات وأطوال موجية مختلفة ، وكل عالم وبعد منها يدور حول نفسه طوال الوقت ، كما تفعل كل الأجرام فى الكون المعروف ، ومع الدوران المستمر ، تلتقى العوالم فى نقطة تماس واحدة ، كل حين وآخر ، وعندما يحدث هذا ، تنفتح فجوة بين الأبعاد المتوازية ، عند نقطة تماس العوالم ، و ...

هاتف (ممدوح) فى عصبية :

- رويدك يا هذا .. لست أفهم الكثير مما تقول ! لقد أرهقت عقلى بعشرات المصطلحات المعقدة ، حتى أننى لم أعد أستوعب شيئاً .

صمت (رأفت) بضع لحظات ، قبل أن يواصل :

- عندما تنفتح الفجوة ، يعتمد الأمر على كثافة المادة الكونية ، لكل من الأبعاد المتعامة ، فالعالم صاحب الكثافة الأعلى ، يمتص الأجسام ، التى تتواجد فى نقطة التماس ، فى العالم صاحب الكثافة الكونية الأقل .. وهذا يفسر حالات الظهور والاختفاء الغامضة عبر التاريخ ، فعندما يكون عالمنا هو الأقل فى الكثافة الكونية ، تختفى منه الأشياء ، التى تنقل إلى العالم المتماس معنا ، والذى له الكثافة الأعلى ، أما لو حدث العكس ، فالأشياء تختفى من العالم الآخر ، وتظهر فى عالمنا .

قلب البحر

اتسعت عينا (ممدوح) ، وهو يشير بيده ، قائلاً :

- رياه ! هل تعنى أن هذه السفينة ..

قاطعة (رأفت) فى حزم :

- نعم .. هذه السفينة من عالم آخر .. من أحد العوالم المتوازية ،
التي التقت مع عالمنا ، فى نقطة تماس واحدة ، وكانت كثافتها
أقل من كثافة عالمنا .

تمتم (ممدوح) بكل الدهشة والذهول :

- رياه ! رياه !

ثم تساعل فى توتر :

- ولماذا يمثل هذا خطراً على عالمنا ؟

أجابه (رأفت) فى حزم ، وهو يتجه بالسفينة ، نحو الدائرة
المتألقة فى قلب البحر مباشرة :

- العالم الذى أنت منه ، ليس عالماً مماثلاً لعالمنا ، بل يتكوّن
من مادة مختلفة تماماً ، على الرغم من أن مخلوقاته تشبه
البشر .. وتلك المادة تبدو هنا منيعة ، نظيفة دائماً ، لأنها تتفاعل مع
مادتنا الأساسية .. ووفقاً لأبحاث ذلك العالم الفذ ، ستتفاعل مادة
ذلك العالم الآخر مع مادة عالمنا ببطء شديد ، ولهذا لم يظهر
ركاب وبحارة السفينة ، إلا بعد فترة من الزمن ، فبالنسبة لهم
ما زالت سفينتهم تبحر فى بحرهم ، ولا يرون ما يحيط بهم بالفعل .

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

قال (مدوح) مبهوراً :

ولكن أجسادهم تتضح رويداً رويداً .

أجابه (رأفت) فى سرعة :

وهنا تكمن الخطورة .

وقبل أن يسأله (مدوح) عما يعنيه ، تابع فى سرعة :

- ظهور أجسادهم التدريجى هذا ، يعنى أن تفاعل مادتهم مع مادة عالمنا يقترب من درجة الالتحام ، فإذا ما تم هذا ، ستتحول السفينة كلها إلى ما يشبه القنبلة النووية الاندماجية ، ولكن بقوة تفوق قوة قنبلة (هيروشيما) ألف ألف مرة ، مما يمكن أن يؤدى إلى فناء هذا العالم تماماً .

استمع وجه (مدوح) بشدة ، وزاغت عيناه فى مقتلتهما ، وهو يقول :

- مستحيل ! مستحيل !

ثم خفض فوهة مسدسه ، متممًا فى ارتياح :

لا بد من منع حدوث هذا بأى ثمن .

أجابه (رأفت) بنفس الهدوء :

- بالضبط .

قلب البحر

لم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفع نداء قوى ، من المدمرة البحرية ، يقول فى صرامة بالغة :

- الإنذار الثانى والأخير .. توقف فوراً ، أو نطلق النار مباشرة ، دون إنذار آخر .

هتف (ممدوح) :

- رياه .. سيطلقون صواريخهم على السفينة ! هل يمكن أن يودى هذا إلى انفجارها .

أجابه (رأفت) ، فى هدوء عجيب :

- اطمئن .. كل قوة أسلحة عالمك ، لا تكفى لخدش سفينة مصنوعة من هذه المادة .

التقى حاجبا (ممدوح) ، وهو يتساءل :

- حقاً ؟!

أجابه (رأفت) وهو يلتفت إليه فى هدوء :

- امنحنى ثقتك .

تطلع إليه (ممدوح) فى حيرة متواترة ، وهو يكرر سؤاله السابق :

- من أنت بالضبط ؟!

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

لم يكد يلقى سؤاله حتى أطلقت المدمرة صواريخها ..
ودوى الانفجار ..

اتفجرت صواريخ المدمرة بدوى هائل ، فى جسم السفينة ، و...
ولكنها حتى لم ترتج ..

لقد واصلت سيرها بنفس الحزم ، متجهة نحو تلك الدائرة ،
التي ازدادت تألقاً ، فى قلب البحر ، وكأنما لم يمستها طير صغير ..
وعلى متن المدمرة البحرية ، اتسعت عيون الكل فى ذهول ،
وغمغم رباتها :

- مستحيل ! من أية مادة صنعت هذه السفينة .

هز ضابطه الأول رأسه فى توتر ، وغمغم فى عصبية :

- هل نطلق صواريخنا نحوها مجدداً ؟!

صمت الربان بضع لحظات ، وهو يدرس الموقف فى ذهنه
جيداً ، قبل أن يقول فى حزم ، امتزج بلمحة من التوتر :

- كلا .. دعنا نبليغ القيادة العليا أولاً .

وصمت لحظة ، ثم تابع :

- ولنتنظر ، حتى ندرك لماذا تتجه السفينة ، نحو تلك البقعة
المثالفة مباشرة ..

أو ما الذى سيحدث عندئذ .

« ما الذى سيحدث الآن ١٢ »

هتف (ممدوح) بالسؤال ، وهو يتطلع فى توتر إلى الدائرة
المائلة ، فى قلب البحر ، والتي تقترب منها السفينة أكثر وأكثر ،
فأجابه (رأفت) بهدونه العجيب ، وهو ينطق نحوها مباشرة :
- ساعد هذه السفينة إلى عالمها ، قبل أن تحدث الكارثة .

ثم التفت إليه ، مستظرفاً :

- أما أنت ، فتقفز فى البحر بسرعة ، قبل أن تبلغ نقطة اللاعودة .

كرر (ممدوح) فى اقزعاج :

- نقطة اللاعودة ١٢

أجابه (رأفت) :

- نعم .. فبعد دقائق قليلة ، سندخل نقطة التماس بين العالمين ،
وعندئذ لن يكون هناك مجال للفرار .

سأله (ممدوح) فى توتر :

- ألا يمكننا أن نترك السفينة ، لتندفع وحدها ، نحو نقطة التماس

هذه ١٢

هزّ (رأفت) رأسه نفياً ، وهو يقول :

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

- مستحيل ! عالمك هنا أقل ، فى كثافة المادة الكونية ، عن ذلك العالم الآخر ، لذا فمن الضرورى أن نستخدم كل طاقة الدفع فى السفينة ، للعبور عكس اتجاه الجذب الطبيعى لفجوة التماس ، ولو تركنا المحركات وحدها ، ستتحرف السفينة عن مسارها ، وترتطم بحافة الفجوة ، وعندئذ ستكون النتيجة أكثر فداحة ، إذ يمكن أن يؤدى هذا إلى قناء العالمين معاً ، وإلى خلل تام ، فى نظام العوالم المتوازية كله .

اتجه (مدوح) نحوه ، وهو يقول فى حزم :

- سنقوم بهذا معاً إنن .

أجابه (رأفت) فى قوة :

- مستحيل !

ثم التفت إليه ، مكملًا :

- مهمتى هنا هى أن أمنعك من تكرار هذا ..

تجمد (مدوح) فى مكانه ، وانتفض جسده كله ، مع ارتجاف صوته ، وهو يقول :

- تكرار هذا ؟؟ ماذا تعنى ؟؟

أشاح (رأفت) بوجهه عنه ، وهو يقول :

- أنت لَقَنْتَ عالمك فيما مضى ، عندما أفركت ما يولجه من خطر ، ففقدت السفينة بنفسك ، عبر فجوة التماس بين العالمين ، و ...

قلب البحر

قاطعه (ممدوح) ، وهو يهتف في حدة :

- ماذا ؟! ما الذي تقوله بالضبط يا رجل ؟!

ما الذي تعنيه بأننى قد فعلت هذا من قبل ؟! إننا لم نر هذه السفينة سوى مرة واحدة .

أجابه (رافت) :

- بالضبط .. أنت رأيت هذه السفينة مرة واحدة ، وأنا كذلك رأيتها مرة واحدة .. فى هذا الزمن .

انتفض جسد (ممدوح) مرة أخرى فى عتف ، وهو يهتف :

- هذا الزمن ؟!

استدار إليه (رافت) ، فى بطم إلى ، وهو يقول :

- نعم .. ففى الزمن الذى أتيت منه ، تعتبر واقعة إنقاذك لعالمك مجرد تاريخ .

اتسعت عينا (ممدوح) عن آخرهما ، وهو يقول ذاهلاً ، غير مصدق :

- تاريخ ؟!

أجابه (رافت) ، بهدونه المثير :

- نعم يا سيادة العميد (ممدوح) .. بطولتك وتضحيتك سجلها تاريخ عالمك ، وإن ظلت ضمن الأسرار العليا للدولة ، لعقدين كاملين من الزمان .

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

هاتف (ممدوح) وكل ذرة فى كياته ترتجف انفعالا :

- تاريخ ١٩ .. لست أفهم .. لا يمكننى أن أفهم .

أجابه (رافت) والسفينة تواصل اقترابها من فجوة التماس
المتألقة :

- الأمر عسير الفهم بالفعل ، بالنسبة لزمك ، فالتكنولوجيا التى
أمثلها ، تفوق أعظم تكنولوجيا فى زمك بألف مرة على الأقل ..
لهذا لم يكن من العسير أن أصل إلى رصيف الميناء ، دون أن يشعر
أحد ، وأن أستخدِم شفرة الاتصالات ، وأكواد القيادات العليا
السرية ، لتوجيه الأوامر والتعليمات للقوات البحرية ، وقوات حرس
السواحل ، ورجال المعمل الجفائى ، وكل أجهزة الأمن الأخرى .

رئد (ممدوح) بكل الدهول :

- مستحيل ! مستحيل !

أجابه (رافت) :

- لا يوجد مستحيل ، بالنسبة للتقدم العلمى يا سيادة العميد ، فما
يبدو مستحيلا فى زمن ما ، يتحول إلى حقائق يومية بسيطة ، فى
أزمنة تالية .. راجع أفلام الخيال العلمى منذ ربيع القرن ، وستجد
أنك تحيا الآن فيما كانوا يتصورونه خيالا محضاً فيما مضى ..

وآلة الزمن ليست اختراعاً حديثاً ، وإنما بدأت تجربها الأولى بالفعل ،

قلب البحر

فى عام ١٩٩٧م ، على يد العالم الروسى (تشيرنوبروف)^(*) ، ولكنها ظلت تعطى نتائج محدودة ، حتى قام عالما الفذ بتطويرها ، وتحسينها ، وصنع منها آلة زمن فعلية ، نجحت فى إعائتى إلى زمنك هذا ، لأمنك من تكرار ما فعلته ، ولأتولى بدلاً منك مهمة إنقاذ عالمك .. وصمت لحظة ثم تابع :

- بمعنى أدق .. مهمتى هى أن أحل محلك حتى لا تلقى مصرعك ، فى هذه العملية .

ظل (معدوح) جامداً ذاهلاً بضع لحظات ، قبل أن يتمتم :

- مستحيل ! لا يمكن أن يكون هذا حقيقةً .

أجابه (رافت) :

- إنه كذلك .. الآن أسرع بالقفز إلى البحر فلم يعد أماننا الكثير من الوقت .

حدث فيه (معدوح) بضع لحظات ، فى صمت ذاهل ، وعقله يأبى تصديق ما سمعه !!

آلة زمن ..

تاريخ ..

بطولة ..

و ...

(*) حقيقة ، ويمكن مراجعة تجارب آلة الزمن ، على شبكة الإنترنت ، بالبحث عن اسم (Chernoprove) ، وهو العالم الذى وضع أول تصميمات عملية لآلة الزمن .

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

« ولماذا أنت ؟! »

هتف بالسؤال بغتة ، فى صرامة مستنكرة ، قبل أن يلوح بيده ،
مستطرذا فى حدة :

- لماذا تقوم أنت بالتضحية بنفسك ، لإنقاذ عالمى .

أجابه (رأفت) من برود :

- إنها مهمتى ، التى عبرت من أجلها الزمن إلى هنا .

هتف به (معدوح) :

- أية مهمة تلك ؟! ومن كلّفك إياها ؟!

آدار (رأفت) عينيه إليه ، فى بطء رهيب ، قبل أن يجيب !

- ابنك .

وانتفض جسد (معدوح) بمنتهى العنف والشدة هذه المرة ..

فالجواب كان صاعقاً ..

بحق ..

٦ - المهمة الأخيرة ..

اتعدّد حاجبا مندوب رئاسة الجمهورية في قوة ، وهو يدور مع ضابط الشرطة ، المسئول عن الاستعلام الأمنى ، في ميناء (الإسكندرية) ، حول تلك السيارة ، الرابضة على رصيف الميناء ، والتي وصل بها (رأفت) إلى المكان ، ثم لم يلبث مندوب الرئاسة أن توقّف ، هاتفًا :

- مستحيل ! لا يوجد مدخل واحد إلى هذه السيارة العجيبة !!
كيف خرج منها رجل المخابرات الزائف أمامكم إذن ؟!

قلب ضابط الشرطة كفيه ، في حيرة ما بعدها حيرة ، وهو يقول :

- لست أدرى لقد رأيتاه جميعًا يدخل المكان بها ، ثم يغادرها في بساطة ، كما يغادر أى شخص عاوى سيارته ، ولم أتخيل لحظة واحدة ، أن أبوابها وحقيبتها يمكن أن تكون كلها ملتحمة بجسمها ، على هذا النحو .. إنها .. إنها ..

ارتجّ عليه بضع لحظات ، من فرط حيرته ، قبل أن ينتفض جسده لمسبب ما ، ويهتف في عصبية :

- لا يوجد تفسير لكل ما يحدث هنا .

ازداد اتعدّد حاجبا مندوب الرئاسة ، وهو يتطلّع إلى سيارة

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

(رأفت) فى غضب ، ثم تراجع بحركة حادة ، وسحب مسدسه من حزامه ، وهو يقول فى صرامة عصبية :

- فليكن .. لن يقف هذا الشيء عقبة ، فى سبيل معرفتنا للحقيقة ..
لو أن جسم هذه السيارة الزائفة مغلقاً ، فنولدها مازالت مصنوعة من
الزجاج ، الذى لن يصمد أمام رصاصات مسدسى هذه .

وقبل حتى أن تكتمل عبارته الأخيرة ، كان يضغط زناد مسدسه ،
ويطلق النار ..

ومع صمت الميناء فى تلك الساعة ، بدا دوى الرصاصات
أشبه بالقتال ، على نحو استفز أعصاب كل من بالميناء ، فسحب
رجال الشرطة منهم أسلحتهم ، واندفعوا نحو مصدر الطلقات ،
و ...

وتوقف الجميع ذاهلين ..

بل تجمدوا ..

تجمدوا تماماً ..

فما حدث أمام عيونهم جميعاً ، إثر ارتطام الرصاصات بجسم
سيارة رجل المخابرات (رأفت) ، كان مذهلاً ..

وإلى أقصى حد ..

قلب البحر

لقد ارتطمت الرصاصات بزعاج السيارة وجسمها ، ثم ارتد في
عنف ، كما لو أنها مصنوعة من أقوى عنصر في الكون ، ودون
أن تترك بها الرصاصات خدشًا واحدًا ..

ولم يكن هذا هو سبب ذهول الجميع ..

وإنما كان البداية ..

فقط البداية ..

ففي اللحظة التالية ، التمع جسم السيارة ، كما لو أن بقعة
ضوء كبيرة ، قد سقطت عليها مباشرة ..

ثم راحت تتألق ..

وتتألق ..

وتتألق ..

ومع تزايد تألقها ، راح جسدها يرتفع عن الأرض في ببطء ..

ويرتفع ..

ويرتفع ..

وفي زعر ذاهل ، تراجع الجميع مبتعدين ، وهتف مندوب
الرياسة ، في عصبية زائدة :

- مستحيل ! ما الذي يحدث هنا ؟! ما الذي يحدث ؟!

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

مع آخر كلماته ، ازداد تألق السيارة فى قوة مباغتة ، حتى
أغشى تألقها الأبصار ، فالتفتت شهقات ذاهلة مذعورة من
الحلوق ، وتطلق الكل يعدو مبتعدا ، فى هلع غير محدود ، وقد وقر
فى أعماقهم جميعا أن السيارة ستنفجر فجأة ، وستودى بهم ..

ومن خلفهم ، دوى صوت ما ..

صوت مكتوم عجيب ، أشبه بصوت هواء ينطلق ، بضغط
مرتفع ، من وعاء ضيق ..

ثم تلاشى التألق دفعة واحدة ..

وفى زعر شديد ، استدار الكل يحدقون فى ذلك الموضع ، الذى
كانت تحتله سيارة (رافت) ، منذ لحظة واحدة ..

ثم قفز الذهول إلى ذروته ..

وكذلك الهلع ..

فلقد كان ذلك الموضع خاليا ..

خاليا تماما ..

وعلى نحو مذهل ..

للغاية ..

لدقيقة أو يزيد ، ظلّ (ممدوح) يحدّق فى وجهه (رافت) ذاهلاً ، حتى قال هذا الأخير ، دون أن يفارقه بروده :

- هيا .. لاتضع الوقت .. افقر فى البحر ، وسيتم الأمر ، كما قمت به أنت سابقاً .. وعلى أكمل وجه ، و ...

قاطعه (ممدوح) ، بكل توتر الدنيا :

- تقول : إن ابنى هو من أرسلك من المستقبل !!

صمت (رافت) لحظة ، ثم أجاب :

- نعم .. أرسلنى ، مجازفاً بوجوده نفسه ، فى سبيل إنقاذك ، من المصير الذى اخترته بنفسك ، لإنقاذ عالمك .

ثم التفت إليه ، متابعاً :

- صدقتى .. لقد افتقدك بشدة .. كان يحبك إلى حد الهوس ، على الرغم من خلافاتكما المستمرة .. وحزنه لفقدك وفراقك لم يزياله قط ، وكان الدافع الأول ، الذى حفز كل عبقريته وهيمته ، ليتحوّل إلى أعظم عالم فى عصره .. لقد فاق كل من سبقه من علماء ، على نحو فذ .. وضع نظريات علمية جديدة ، كسرت كل الثوابت الفيزيائية المعروفة ، وتوصّل إلى كشوف مذهلة ، لم يحلم بنصفها أعظم وأعلم العلماء ، الذين احتلوا مكانة رائعة ، فى تاريخ العلم .. وكل هذا من أجلك .. لقد ظل يؤمن لفترة طويلة أنه باستطاعته استعادتك ، وإنقاذك من الغناء ، مع هذه السفينة ، مما

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

جعله يبدل جهداً مضنياً لحل اللغز ، ولتطوير آلة الزمن .. الواقع أنه ينبغي أن تفخر به يا سيادة العميد ؛ فهو أعظم من عرفه زمنى ، وهو عميد علماء العالم كلهم .

وعلى الرغم من صعوبة الموقف ودقته ، شعر (ممدوح) بفيض من الحنان والزهو يسرى فى عروقه ، وذنه يستعيد صورة ابنه الوحيد ، وتمنى لو أمكنه أن يحيا بالفعل ، حتى يرى تلك اللحظة ، التى سيصبح فيها ابنه أعظم علماء عصره ، وعميدهم ، و

وفجأة ، انطلقت شهقات قوية من حولهما ، واتبعشت أصوات عصبية قوية ، انتزعت (ممدوح) من مشاعره ، فتلقت حوله فى توتر ، ووقع بصره على البحارة والركاب ، وضباط السفينة ، وهم يحدقون فيه ، وفى (رأفت) ، عبر زجاج قمرة القيادة ، على نحو جعله يهتف :

- رباه ! إنهم يروننا الآن ، ويشعرون بوجودنا .

أجابه (رأفت) فى سرعة :

- إننا نثير ذهولهم وفزعهم للغاية يا سيادة العميد ؛ فبالنسبة لهم ، تغير عالمهم فجأة ، وانتبهوا إلى وجودهم فى عالمنا ، وفى نفس اللحظة ، التى أدركوا فيها هذا ، فوجئوا برجلين غربيين ، يرتديان ثياباً عجيبة ، يحتلان قمرة القيادة ، ويقودان سفينتهم ، نحو بقعة متألقة عجيبة ، تثير ذهولهم وذعرهم أيضاً .

قلب البحر

حمل صوت (ممدوح) كل توتره ، وهو يواصل التلقت حوله ،
هاتفاً :

- رباه .. سيقتحمون القمرة حتماً ، إن عاجلاً أو آجلاً ..

أجابه (رافت) فى هدوء :

- اطمئن .. لن يمكنهم هذا .. القمرة محكمة من اتجاههم ،
وعلى الرغم من إدراكهم لوجودنا ، إلا أن اختلاف مادتيننا يمنعهم
من الظفر بنا ، أو حتى الإمساك بنا ..

قال (ممدوح) فى عصبية :

- ولكنك استطعت إزاحة قبضاتهم عن دفة القيادة .

صمت (رافت) بضع لحظات ، قبل أن يجيب :

- أنا أختلف .

هتف به (ممدوح) :

- وقيم تختلف !؟

صمت (رافت) لحظة أخرى ، ثم قال :

- افقر يا سيادة العميد .. افقر قبل قوات الأوان ..

اخرج من هنا ، واتجه نحو حاجز السفينة مباشرة ، واقفز فى
البحر دون تردد .. سيتابعونك بأبصارهم فى دعر وعدائية وتحفز ،

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠) قلب

ولكن أحدهم لن يمنكه أن يمنعه مما ستفعله .. اقفز بالله عليك ،
وغادر هذه السفينة ، قبل أن يضيع الوقت ، وتذهب تضحية ابنك
هباءً .

خفق قلب (ممدوح) في عنف ، وهو يردد :

- تضحية ؟! ماذا تعنى ؟!

صاح به (رأفت) :

- اقفز يا سيادة العميد .. غادر السفينة فوراً .

ولكن (ممدوح) لم يبال بصيحته ، وهو يسأله في حدة :

- تحدثت من قبل عن مجازفة ابني بوجوده المستقبلي ، في
سبيل إقاضي ، ثم تتحدث الآن عن تضحيته .. ما الذي يعنيه هذا
بالضبط ؟! أفصح .

كرر (رأفت) :

- غادر السفينة .. أماننا ثلاث دقائق فحسب ، وبعدها ستصبح
مهمتي كلها عديمة الجدوى .

هتف (ممدوح) :

- أغادر السفينة ، وتقودها أنت إلى عالمها .. وإلى حثثك أيضاً ..

أليس كذلك ؟!

قال (رأفت) :

- المهم أن تتجو أنت .

صاح (ممدوح) متحدياً :

- كلاً .. لن تبذل حياتك فى سبيل حياتى .. لن أسمح لك بهذا
قط .

أجابه (رأفت) ، وهو يتجه بالسفينة ، نحو الدائرة المتألقة
تماماً :

- لن أبذل شيئاً يا سيادة العصيد .. المهم حياتك أنت .

صاح به (ممدوح) :

- وماذا عن حياتك أنت ؟!

استدار إليه (رأفت) ، فى بطاء مخيف ، وهو يجيب :

- اطمئن .. ليست لى حياة .

انتفض جسد (ممدوح) - واتسعت عيناه عن آخرهما ، وشمل
الذهول كل لحظة من ملامحه ، قبل أن يغمغم :

- ليست لك حياة !

تألقت تلك الدائرة أكثر وأكثر ، فى تلك اللحظة ، وغمر ضوءها
العجيب وجه (رأفت) ، على نحو مخيف ، وهو يقول :

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠) دروكتيل

- نعم يا سيادة العميد .. أنا لست شخصاً حياً ، كما يبدو لكم جميعاً .. أنا فى الواقع أحد أعظم اختراعات ابنك فى المستقبل ،
قائلة الزمن لا تزال عاجزة عن نقل البشر عبر الزمن .

غمغم (مدوح) ، بكل ذهول الدنيا :

- أنت .. أنت شخص آلى !!

هز (رأفت) رأسه فى بطء ، مجيباً :

- ليس بالمعنى المعروف فى زمنك .. أو حتى بالمعنى الذى تحمله
بعض الأفلام الخيالية ؛ فجسمى يتكوّن من مجموعة الموصلات ،
ذات قدرة لا يمكن وصفها ، أو شرحها ، بالنسبة للتكنولوجيا
المعروفة فى زمنك ، ولكنها تمنحنى ذلك الذكاء الصناعى ، الذى
حلتم به طويلاً ، وإن كانت قاصرة فى الجزء الخاص بالتفاعل
الاتعالى مع الأحداث .

غمغم (مدوح) ، من قلب ذهوله :

- لهذا .. لهذا كنت هادئاً طوال الوقت .

قال (رأفت) :

- لدى مجموعة محدودة من البرامج الانفعالية ، أتمكنى إظهارها فى
مناسبات قليلة فحسب .

هتف (مدوح) :

ولكن لماذا كل هذا .. لماذا اتصالك بالبحرية ، وقوات حرس السواحل ، واستدعاء المعمل الجنائى .. لماذا كل هذه التمثيلية ، مادمت تعرف طبيعة مهمتك منذ البداية ؟

أجابه (رأفت) ، بذلك الهدوء الآلى :

- لا بد أن يسير كل شيء وفقاً لما سجله التاريخ بالضبط ، حتى لحظة التغيير ، فأى اختلاف ، قبل اللحظة المنشودة ، يمكن أن يؤدي إلى مجموعة تداعيات زمنية ، ربما تقود الأحداث إلى اتجاه آخر تماماً ، ولا أحد يدري ما الذى يمكن أن يحدث عندئذ .. ربما كارثة أكثر فداحة .

اتعقد حاجبا (ممدوح) ، وهو يتعمق :

- نعم .. أى اختلاف فى الأحداث ، قد يقود إلى كارثة أكثر فداحة .

أجابه (رأفت) :

- بالضبط .

خفض (ممدوح) عينيه ، اللتين غامتاً على نحو عجيب ، وبدأ وكأنه غارق فى تفكير عميق ، فتابع (رأفت) :

والآن هيا .. غادر السفينة فوراً يا سيادة العميد هيا .

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

التقط (ممدوح) نفساً عميقاً ، ثم أطلقه من أعماق صدره ، فى شكل زفرة ملتهبة ، وهو يغمغم :

- معذرة يا (رافت) ، أو أيًا كان اسمك .

ثم رفع فوهة مسدسه فجأة ، وأطلق رصاصاته نحو ساقى (رافت) ، مستطردًا بصيحة صارمة :

- ولكننى لن أغادر السفينة .

أصابته الرصاصات ساقى (رافت) ، فاختل توازنه ، وسقط فجأة ، فاختل توازن دفة القيادة لحظة ، ولكن (ممدوح) وثب يلتقطها ، ويحافظ على مسار السفينة ، نحو الدائرة المتألقة ، فقال (رافت) ، بنفس الهدوء المستفز :

- ولكن لماذا ؟!

أجابه (ممدوح) فى تأثر واضح :

- لأن ابنى العبرى ، فاته أن ينتبه إلى نقطة مهمة جدًا ، ربما تحتاج إلى عقل رجل أمن ، بأكثر مما تحتاج إلى عالم فيزيائى فذ .

سأله (رافت) :

- أية نقطة ؟!

أجابه (ممدوح) ، وهو يلتقط نفساً عميقاً :

قلب البحر

- لماذا فعلت أنا ما فعلت ، وقدت السفينة عبر تلك الدائرة المتألقة ، لأعيدها إلى عالمها ، على الرغم من أن عقليتي ، ومعلوماتي العلمية ، وطبيعتي الأمنية ، لا يمكن أن تقودني إلى هذا ، دون أن أدرك بوضوح طبيعة الخطر الذي تمثله لعالمي ؟
سأله (رأفت) في آلية :

- الواقع أن هذا لم يرد ببرنامجي قط ، ولكن دعني أسألك .
لماذا فعلت ؟

النقط (ممدوح) نفساً عميقاً آخر ، وتأكد من أن السفينة تتجه نحو قلب الدائرة المتألقة مباشرة ، قبل أن يجيب :

- لأنك أتيت إلى هنا .

قال (رأفت) في بضع :

- لم أفهم .

أجابه (ممدوح) :

- الواقع أن ابني ، عندما أرسلك عبر الزمن ، إلى هذه الفترة ، لم يكن في سبيله إلى تغيير الأحداث في الواقع ، وإنما كان يبدأها ، دون أن يدري ، فوصولك هو الذي نبهني إلى خطورة هذه السفينة على عالمي ، وهو الذي جعلني أقودها نحو فجوة التماس ، لأعيدها إلى عالمها .. باختصار .. الزمن يسير في دورته الطبيعية ، سواء استخدمت آلة زمن أم لا ..

قال (رافت) :

- هل تعنى أننا ندور فى دائرة مغلقة .. أنا أتى إلى هنا ، وأرشدك إلى الخطر ، فتقود السفينة إلى العالم الآخر ، ويفتقدك ابنك ، ويجاهد ويثابر ، حتى يكشف الغز ، ويخترع آلة الزمن ، ويصنعنى ، فأعود إلى هنا ، فى محاولة إتقانك ، ولكن عوبتى ترشدك إلى الخطر ، وهكذا ..

أجابه (ممدوح) فى حزم :

- بالاضبط .

قال (رافت) ، بنفس الهدوء الآلى العجيب :

- ولكن كانت أمامك الفرصة للتغيير .. كان ينبغى أن تقفز إلى البحر ، وتغادر السفينة ، وتتركنى أنا أقودها إلى عالمها .. كانت أمامك فرصة تغيير الزمن بالفعل .

هز (ممدوح) رأسه نفياً ، وترقرقت الدموع فى عينيه ، وهو يقول :

- وما الذى كان يمكن أن يحدث عندئذ ؟! أنت قلتها بنفسك .. تداعيات زمنية ، قد تؤدى إلى كارثة فادحة .. بل وقد تهدد وجود ابنى فى المستقبل .

قال (رافت) :

- هذا صحيح .

تابع (ممدوح) ، ودموع حنان تسيل من عينيه ، دون أن ينتبه إليها :

- لقد صنع ابني عظمته كلها ، مع تأثره بفقدى .. إننى أشعر بالحزن والأسى لما سيصيبه ، ولكن المأساة صنعت منه أعظم علماء عصره .. لا تنس هذا أبداً .

وتدفقت الدموع من عينيه أكثر ، وهو يستطرد :

- إننى أسمع منذ طفولتى أن الشخص الوحيد ، الذى يتمنى المرء تفوقه عليه ، هو ابنه ..

فقط ابنه .. والآن تبقت من أن هذا القول حقيقى تماماً ، فما أن وضعت حياتى فى كفة ، ومستقبل ابنى فى الكفة الأخرى ، حتى رجحت كفته لدى بلاتردد .

استغفر (رافت) كل قواه الآلية ، ونهض واقفاً ، على الرغم من إصابة ساقيه شبه الحيويتين ، و(ممدوح) يكمل :

- لو نجوت أنا من الموت الآن ، سيفقد ابنى حافظه ، الذى صنع منه أعظم علماء عصره .. ولاأحد يدرى ما الذى سيحدث عنئذ ... ربما يؤدى وجودى إلى تهديد وجوده هو ، فمن تختار ، لو كنت مكانى .
أجابه (رافت) :

- برنامجى لا يتيح لى مواجهة مثل هذه الاختيارات .

ابتسم (ممدوح) ، على الرغم من الدموع ، التى غمرت وجهه ، وهو يقول :

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

- أما أنا ، فما منحني إياه الله (سبحانه وتعالى) ، يمنحني القدرة على التمييز ، وتقدير الأمور ، واتخاذ القرار ، ومهما بلغت عبقرية البشر ، لن يصنعوا ذرة مما يمنحه الخالق (عز وجل) لكل مخلوقاته .. إرادة القرار .

صمت (رأفت) بضع لحظات ، قبل أن يلتقط الدفة ، قائلاً :

- أظنني أستطيع قيادتها على نحو أفضل .

تشبث (ممدوح) بالدفة في قوة ، وهو يقول في صرامة حازمة :

- لن تمنعني من تنفيذ ما قررتَه .

أجابه (رأفت) بهدونه العجيب :

- اطمئن يا سيادة العميد .. لقد قات أوان التراجع .. السفينة ستعود إلى عالمها ، بعد دقيقة واحدة .

تردد (ممدوح) لحظة ، ثم لم يلبث أن ترك دفة القيادة ، وهو يقول :

- نعم .. انطلق بها إلى بر الأمان .

وتراجع بضع خطوات ، مغفماً :

- أمان عالمنا كله .

قلب البحر

تسلم (رأفت) الدفة ، واتجه بالسفينة نحو الدائرة ، التى بدت هائلة الحجم ، وبدأ تألقها رهيباً ، إلى الحد الذى جعل ركبها وبحارتها وضباطها ، وحتى قبطاتها يصرخون فى رعب ، وهم يجهلون تماماً أن عبورها سينقذ حياتهم ، ويعيدهم إلى عالمهم ..

ومن بعيد ، هتف قبطان مدمرة القوات البحرية المصرية :

- رياه !! فليتوقف الكل فوراً .. هذا الشيء يبدو رهيباً وخطيراً للغاية ، ومن الواضح أن رجل أمن الميناء يقود السفينة نحوه لهدف ما .

وصمت لحظة ، اتعقد خلالها حاجباه ، قبل أن يستطرد :

- شيء ما يحدثنى أنه يفعل هذا من أجلنا .. من أجلنا جميعاً .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كانت السفينة تعبّر الدائرة المتألقة بالفعل ، و (مدوح) يلتقط نفساً عميقاً آخر ، ثم يغلق جفنيه على دموعه ، التى أغرقت كيانه كله ، وهو يهتف :

- كم أقدر ما فعلته من أجلى يا بنى .. وكم تمنيت أن أخبرك كم أنا فخور بك ، ومزهو بما ستصل إليه ولكن يكفينى أن يدرك قلبك ، فى وقت ما ، أو زمن ما ، أنني إنما فعلت ما فعلته من أجل العالم كله .. من أجل عالم أردت أن تنعم فيه بالحياة .. والتفوق .. لقد فعلت هذا من أجلك يا ولدى ..

ومع آخر حروف هتافه ، الذى تطلق من أعماق خبايا قلبه ، عبرت السفينة السوداء العجيبة ، تلك الدائرة المتألقة ، وتجاوزتها إلى بعد آخر ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

إلى عالم آخر ، ربما يكون العميد (معدوح) هو أول من وقع
بصره عليه ، من بنى البشر ..

عالم يختلف ..

يختلف تمام الاختلاف ..

وأمام عيون الجميع الذاهلة ، وفور اكتمال عبور السفينة ، راح
تألّق فجوة التماس يخبو ويخبو ، حتى تلاشى تمامًا ..

تلاشى ليغلق إلى الأبد ملف السفينة الغامضة ، الذى لم يعلن
رسميًا أبدًا ..

وتلاشى ليضع كلمة النهاية ، على ملحمة إنسانية رائعة ، ربما
لن يعلم أحد بأمرها ، حتى آخر الزمان ..

ومع التلاشى ، عاد الظلام ، والصمت ، والسكوت ، والهدوء
إلى تلك البقعة ..

إلى قلب البحر ..

النابض ..

إلى الأبد ..

[تمت بحمد الله]